أثر البيئة السياسية في شعر شعراء الحلة في القرن السابع الهجري

الأستاذ المساعد الدكتور
عدنان كاظم مهدي
الباحث
فراس نوري إبراهيم
جامعة الكوفة - كلية الآداب

المقدمة

يعد الشعر القبلي في الجاهلية شعرا سياسيا أو صورة أولية للشعر السياسي ثم تطور هذا الشعر واتضحت صورته حين قامت الدولة الإسلامية ، وأصبح الشعر السياسي يساير النظام الجديد ويسنده، وظل ينمو حتى ازدهر في العصر الأموي بسبب طبيعة الحياة السياسية في هذا العصر، وقامت الدولة العباسية ، فتغيرت طبيعة الحياة السياسية، وتلونت بألوان جديدة، وجاءت عناصر أثرت في الدولة وتحكمت بها، كالأتراك والبويهيين والسلاجقة وكانت مواقف الحكام من الشعر تختلف من عصر إلى آخر(١)، فقد ظهر حكام وقفوا من الشعر وأهله موقفا وديّا ،وكان لسريان الروح العربية فيهم أثر في ذلك ، وكانت مدينة الحلة في ظل بني مزيد تزهو بالشعراء ؛لأن حكامها كانوا يتذوقون الشعر ويكرمون الشعراء فازدهر الشعر في عهدهم(٢) .

وعندما جاء القرن السابع الهجري لم تتهيأ الظروف الملائمة لازدهار الفن الشعري عند شعراء الحلة، فحين توفي الأمير علي بن دبيس (ت ٥٤٥هـ) وهو من بني مزيد وقد عاش الشعراء في كنفه حياة دعة ورفاه ، وخضعت الحلة لبغداد ، وبدأ عهد جديد من الإمارة ،فبينما كانت الحلة مطمح العلماء والأدباء ومحط رحالهم، فقد تركها الشعراء والأدباء متجهين صوب الحواضر الإسلامية المختلفة ، والمدن الكبيرة الشهيرة منتجعين من يتوسمون فيهم رعاية العلماء والأدباء من الأمراء والوزراء(٣) ،ويبدو أن المقام لم يطل بأكثرهم في الحلة فقد بدأت جموع من العلماء والأدباء تغادر الحلة ، وتشد الرحال بحثا عن المجد والشهرة ، إذ لم تعد الحلة

تلك الحاضرة التي يزينها أمراء يحبون العلم والأدب ،لذا قصد بعضهم بغداد أو الموصل ، ويمّم آخرون شطر الشام أو حلب ، واتّجه آخرون إلى دمياط والقاهرة .

ولا بدّ أن تترك الحالة السياسية أثرها في الأدب ، إذ إن الشعر ينمو ويزدهر في ظل السلطة الحاكمة التي توجه الشعر والشعراء، وكان القسم الأكبر من شعراء العراق قد تحول صوب الدولة الأيوبية وهاجروا إليها، ومدحوا سلاطينها وأمراءها بسبب تشجيع الأيوبيين للأدباء ورعايتهم لهم، ولإعجاب المسلمين ببطولاتهم، وصلابتهم في الحروب وجهادهم ضد الصليبيين،فقد تسابق الشعراء إلى بلاطاتهم من كل فج ،فصارت مصر والشام من المراكز الأدبية المهمة في ذلك العصر، لأنها استطاعت أن تجذب إليها عددا كبيرا من الشعراء(٤) ،فكانوا خير سفراء للحلة الفيحاء ، فحطوا رحالهم حيث المرتع الخصيب والري الوفير(٥) ، واتفقت ميولهم مع ميول هؤلاء الملوك، ورغبتهم في الوصول إلى ذرى المجد ،وبدأت مرحلة جديدة من مراحل نشاط الشعر وتطوره في ظل الحكام الأيوبيين .

ولا ريب في أن الأحداث السياسية تركت أثرا عميقا وواسعا في الأدب العربي في بلاد الشام ومصر التي كانت ميدانا للصراع الرهيب بين الغزاة الأوربيين من جهة وبين المسلمين من جهة أخرى ،أما آثار هذه الأحداث في شعر العراق فكانت اقل عمقا وأثرا ،إلا إن شعراء العراق ومنهم شعراء الحلة ،قد عبّروا عن هذه الأحداث بشعر يجسد الأخوّة الإسلامية تجسيدا رائعا (٦) ، فقد نشأ في العراق نوع من الشعر لا يتقيد بالحدود الإقليمية وله صفة عامة تمثل الشعور بالوحدة العربية ، وطبيعي أن يكون هناك دوافع كثيرة لهذا الشعر ؛منها دافع التكسب والطمع فقد اشتهر عن حكام بني أيوب أنهم كانوا يجزلون العطاء ،إلاّ إن من أهم الدوافع هو تمثيل الأيوبيين لأماني المسلمين في ضرورة المحافظة على الأمة الإسلامية ومقاومة أعدائها أما معاني الشعر الذي امتدح به هؤلاء الشعراء للأيوبيين فبعضها يدور على الثّناء عليهم وتصوير شجاعتهم وبطولاتهم ،وجهادهم في حروبهم ضد الصليبيين ، فكانوا يشيدون بانتصاراتهم التي هي انتصارات للمسلمين كافة، وهذه المعاني التي امتدحوهم بها هي معاني مستمدة من معاني المدح العربي القديم ، وأهمها الإشادة

بالنسب ، والكرم، وحماية الجار ، والعفو، والعفة، وحسن الرأي، والعدل وما شابه ذلك وكان الشعراء يضعون هذه المعاني في قوالب وصيغ لا تجعلنا نلمح اختلافا بينها وبين قوالب وصيغ قصائد المدح العربية القديمة(٧) .

المبحث الأول

المدح السياسي

١-مدح الملوك والسلاطين

((المديح هو فن الثناء وتعداد مناقب الإنسان الحي،وإظهار آلائه وإشاعة محامده وفعاله بين الناس))(٨).ولعل ازدهار شعر المديح لم يكن بمعزل عن السياسة لاسيّما إن أكثر الممدوحين هم من الملوك والأمراء ،ولكل واحد من هؤلاء دولة لها أنصار وأعداء،وبسبب ((كلف الملوك بإظهار نفوذهم ،وإعلان هيبتهم،وإطراء مجدهم فقد قرّبوا الشعراء، وأجزلوا لهم العطاء،ليعلنوا مفاخرهم على الناس، ويزيدوا من هيبتهم في نفوس العامة))(٩).

ففي سنة(٥٦٤٨)أنفذ الخليفة المستعصم إلى الوزير مؤيد الدين بن العلقمي على يد عمر بن جلدك(١٠) شدة من أقلام فقال الوزير يمدح المستعصم(١١)في مقطوعة تحمل نفحات إيمانية تجسد قدرة الله (تعالى) في خلقه، إذ يقول:

خَولتَني نِعماً كادتْ تعيدُ إليَّ ... عصرَ الشّبابِ وتُدني منهُ أياما
لم يبقَ لي أملٌ إلا وقدْ بلغتَ ... نفسي أقاصيَه براّ وإنعاما
تُعطي الأقاليمَ من لم يُبدِ مسألةً ... جوداً فلا عجباً أن تُعطِ أقلاما
لأفتحنّ بها والله يقدرني ... مصاعباً أعجزتْ من قبل بهراما
أذا نسبنَ إلى خطٍ فإنَّ لها ... شُبى إذا أعملتْهُ يَخرِقُ الهاما
بالحمدِ والشكرِ أُجريها لدولتِكُم ... والرأيُ يَحصدُ مِنْ أعدائِها الهاما

ولقد حلّت هذه الأقلام محل إعزاز وإكبار الوزير ،فالخليفة لم يترك لوزيره أي رغبة أو مطلب إلا وقد بلغ أقاصيه ،حتى كاد الزمن يعود بالشاعر الى حقبة شبابه وما يكتنف الشباب من حيوية ونشاط وقد غدا مرفّلاً بالعز والخير ،وهذا الملك واسع العطاء فجوده قد استولى على الأقاليم السبعة ،فهو يبادر بالعطية ،حتى وان لم

يُسأل ،وليس ذلك عجبا، وهذه الأقلام هي جزء من فيض جوده الشامل ،إن هذه الأقلام عندما حلت بيد الوزير صارت مفتاحاً لأمور متشعبة ،أعجزت من قبل (بهرام)(١٢) ،فالشاعر يستعير خرق الهام لأن هذه الأقلام لها حدٌّ كحدِّ السيف وينسب لها صولة تعلو الهام ، فتحصد الرؤوس ،ويضع الشاعر نفسه رهن رأي الخليفة ومشورته، فهو المخلص الأمين المتفاني في خدمته الحامد الشاكر لفضله وأنعمه.

وفي بلاد الشام ومصر كان الشعر يعبر في معانيه عن مشاعر العراقيين تجاه إخوانهم الذين كانوا في صراع دائم وحروب متصلة مع الغزاة الصليبيين ، فوصفوا شجاعتهم وبطولاتهم وحروبهم ، وما كان يستتبعه من وصف للجيوش والأسلحة والروح القتالية القوية ، وانتصاراتهم على الغزاة وحثّهم على المزيد من الجهاد والقتال، وهي بلا شك تعبر عن رأي العراقيين فيما كان يجري من الأحداث الجسام(١٣).

وكانت قصائد المديح عند هؤلاء الشعراء تدور حول الصفات الخلقية والنفسية للملوك والحكام، وكان من بين هؤلاء السفراء (راجح الحلي)؛ الذي رحل إلى بغداد واتصل بولاتها ووزرائها ومدحهم ،فنال شهرة عظيمة ولم يطل به العهد في بغداد فقد غادرها متجها صوب الجزيرة الفراتية ،وحلب ودمشق ،ووصل إلى مصر ،واتصل بالأمراء والسلاطين الأيوبيين ،حتى لقب بشاعر الأيوبيين(١٤).ومن الملاحظ أن أغلب قصائد المديح لدى الشاعر راجح الحلي، قد خص بها الملك الظاهر (غازي بن يوسف)، إذ إنه كان يتناول في مديحه السياسي للحكام ؛الصفات التي يجب أن تتوافر في رجل الحكم أو السياسة، ، يقول راجح في مدح الملك الظاهر(١٥):

ومساعٍ طلعْنَ في أُفقِ عليا ... هُ نجوماً للمهتدين تُنيرُ
ذو أناةٍ تخفُّ منها الرّواسي ... وهِباتٌ تقلُّ عنها البُحورُ
وله الهمّةُ التي كلّ صعبٍ ... وعسيرٍ صعبٍ لديها يسيرُ
وكأن العُلا ينوءُ بها منـ ... ـهُ شمامٌ ويستقلّ ثبيرُ

فمساعي الملك الظاهر مشرقة كالنجوم العالية في الآفاق ، وحلمه يفوق الجبال،بل إن عطاياه تنحسر عنها البحور، فالجبال لا تدانيه في علاه ، والبحور لا تبلغ معشار كرمه ، وهمّته عالية ذللت كل صعب وعسير. وفي حمى الملك الظاهر يجد اللائذون خير معقل وملجأ، يقول راجح (١٦):

فجنابُ شمس الدين أمنعُ معقل للّائذينَ منَ الزمان الأنكد

وكانوا يحيطون الملوك والسلاطين بهالة من التقديس والتعظيم(١٧) فينعت السلطان بحجة الله وظل الله على العباد وهو حبل الله الممدود ، فتجب طاعته، يقول راجح(١٨):

يا حُجّةَ اللهِ التي وضُحت آياتُها وأتَت بها النُّذر

ويبالغون في تقديس الممدوح فيكون مدحهم شططا وكفرا ، يقول راجح الحلي(١٩) :

فإذا تجلّى نورُ طلعته فاسجد لعلك منه تقترب

فثمّ سرّ الله طاعته نزلت بها الآيات والكتب

كما أن هذا الممدوح محمود السيرة خالد الذكر، يقول(٢٠) راجح في مدح الملك القاهر (ت٦٠٧هـ)(٢١):

من معشر زيّنوا الدنيا بسيرتهم وخلّدوا الذّكر فيها أيّ تخليد

فإذا كبر النشيء عندهم طأطأت له رؤوس الصناديد العظام(٢٢):

وإن رقىٰ هَضباتِ المجدِ ناشِئُهم تَطأطَأتْ قِممُ الصِّيدِ الصناديدِ

وهذا البيت يذكرنا ببيت الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم إذ يقول(٢٣):

إذا بلغَ الفِطامُ لنا صبيٌّ تَخِرُّ لَهُ الجَبابرة سَاجدينا

والممدوح لدى راجح يجمع بين النقيضين فهو سمح الخصال إلا انه صعب القياد فلا يوجد له شبيه ولا يرقى له ندّ ،يقول راجح في مدح الملك الظاهر(الخفيف)(٢٤) :

ملكٌ جلّ عن شبيهٍ فقلْ ما شئتَ فيمن سَما على الأندادِ

جرّبته الدّنيا فلمْ تبلَ منهُ غيرَ سهل السّماحِ صَعبِ القيادِ

وقال(٢٥) يمدح الملك الأشرف(٢٦):

وفـــداءٌ لـــكَ أمـــلاكٌ عمّـــروا بإتبـــاعِ الغـــيِّ عـــن طَريـــقِ الرشـــادِ
حَسِـــبوا المُلـــك تراثـــاً عـــن أبٍ وهـــو ظـــنّ غـــيرُ مـــأمونِ القيـــادِ
إنّمـــا الملـــكُ لَملـــكٍ حـــازم قَـــرَن الإرثَ بســـعيٍ واجتهـــادِ

أن هذا الملك ليس كغيره من الملوك الذين ينهجون منهج الغيّ متكئين بذلك على أحسابهم وما ورثوه من المجد ؛ بل انه ملك حازم قرن المجد بسعي واجتهاد.

ويرى راجح أن سياسة ممدوحه خير سياسة لقيامه بعبء الملك ومسؤولياته وإدارة الدولة على أحسن ما يرام فيقول مادحا الملك الظاهر(٢٧) :

ملـك تحمـل أعبـاء العلـى ووهـى عنهـا ملـوك لهـم بالعـبء أعبـاء

وحسن السياسة يتطلب الحزم والعزم والثبات وهذا ما توسمه راجح في شخص ممدوحه ،فيقول(٢٨):

ثابـت الحـزم ، إذا قـال وفـى ثاقـب العـزم إذا هـم مضـى

ومن أجمل ما مدح به راجح الأبيات التي قالها في مدح الملك الرحيم بدر الدين الأتابكي، (ت٦٥٧هـ)(٢٩) ، يقول(٣٠):

والمجـدُ إلاّ مـا سَـما بُنيانُـهُ بـأبي الفضـائلِ وٱعتلـتْ شُـرُفاتهُ
ليـثٌ وطـودٌ في سُـطاهُ وحِلمـه مشـهورةٌ وثباتُـهُ وثباتُـهُ
نديّـةٌ أعراقـهُ، مائيّـةٌ أخلاقُـهُ، ناريّـةٌ عزماتـهُ
مهديّـةٌ آراؤهُ ،مَرجـوةٌ آلاؤهُ، مَخشـيةٌ سَـطواتهُ

فالمجد لا يسمو إلا إذا كان الملك الرحيم من بناته ، فهو الليث في بأسه والجبل الشامخ في حلمه،كريم الحسب والنسب ،سلس الأخلاق له عزمات تشبه النيران في حدتها ،مهدي السيرة ترجى نواله وتخاف سَطَواتُه.

وحماية الرعية وقضاء حوائجها من الأمور التي مدح بها الملوك فيقول راجح في مدح الملك الظاهر(٣١):

فبـك الرعيـة خصـب مرتعهـا خضـر النبـات ووردهـا خضـر

وذكر راجح أن الملك الظاهر كان يجمع في حكمه بين الرأفة واللين والشّدة والبطش ليعم الأمن والهدوء والحذر فيقول راجح في مدحه(٣٢) :

سِســـت العبـــاد برأفـــة قرنـــت بسُـــطىً فعـــمَّ الأمـــنُ والحـــذار

ويقول أيضا :

مليـــكٌ بـــراهُ اللهُ للنـــاسِ رحمـــةً متـــى فســـدوا خـــافوا ســـطاه فأصـــلحوا

ويرى راجح في مدحه المستنصر (٣٣) أن سياسته تقوم على التواضع (٣٤) فيقول:

متواضـــعٌ واللهُ يرفـــعُ قـــدرهُ قســـماً بـــهِ إنّ التواضُـــعَ متجَـــر

ويتحدث عن صفة أخرى لها علاقة بسياسة الممدوح هي صفة السيادة وعلو الشأن فيقول في مدح الملك الظاهر(٣٥):

فمـــنْ ذا إلى مجـــدٍ يُجازيـــكَ أو عـــلاً وأنـــتَ لأشـــتاتِ المحامـــدِ جَـــامع

وقد يغرب ويبالغ في تقديم صورة أخرى لعلو مكانته إرضاء لهوى الممدوح وإشباعا لرغباته فيقول(٣٦) مادحا الملك الظاهر ومهنئا له بحلول شهر شعبان فيذكر رحيل الفرنج من حصن الخوابي(٣٧):

لمْ تبلـغِ الشّـمسُ المـنيرةُ بعـضَ مـا أوتيـتْ مـنْ شـرقِ العُلـى لم تَغْـرُبِ

ولم يكتف شعراء الحلة بوصف الحكام والساسة بالشجاعة والحزم وتدبير شؤون الحكم بل ذكروا لنا فصاحتهم وبلاغتهم وهذا الأمر لم نعهَدْهُ في ذلك القرن إذ غلبت العُجْمة والعامية على المجتمع آنذاك.

فيقول مادحاً الملك الظاهر غازي بن يوسف(٣٨) :

تلقـــاهُ أغـــزرَهُم نَـــيْلاً وأفصـــحهُم قَـــولاً إذا يـــومَ فخـــرٍ غـــصّ مجمعُـــه

ومن أهم الصفات المقترنة بالحكم صفة العدل وهي صفة تقترن بالحاكم ولابد أن يعم عدله الناس والأرض جميعا ، وهذه الصفة تتجسد في الملك الظاهر لدى راجح وينبغي توافرها لدى الحكام فيقول(٣٩):

مـا ضـرّهُ وهـو الظلـومُ لـو اقتفـىٰ في عدلِـــهِ الملـــكَ الغيـــاثَ الظّـــاهرا

ملكـاً طَـوى جـورَ الزمـانِ بعدلـه وغَـدا لضـافي العـدلِ فـيهم ناشِـرا
يُرجـى نَـداهُ علـى تَمـادي فتكِهـا ويُهـابُ مِنْـه الوجـه طلقـاً سـافِرا

فإذا جار الزمان وجدت رعيته خير راع وناشر للعدل ترجو نداه على تمادي الزمان وفتكه، وتهاب الرعية منه طلاقة الوجه وظهوره.

وكانت صفة الكرم حاضرة في مدح شعراء الحلة للملوك والسلاطين وقد جاءت صورة الكرم موازية لصورة الكرم الجاهلي ،فيصف لنا راجح النار التي يهتدي بها العفاة الى ممدوحه في إطار جاهلي متوارث فيقول في مدح (٤٠) السلطان المعزّ(٤١) :

مـا هدَتْـه إلا إلى نـارِ موسـى عزمـاتٌ لنارهـا ألهـوبُ
ملـكٌ لا النـدى عـن الرفـد في نـا ديـهِ يَنبـو ولا الخُطـوبُ تنـوبُ

ثم يجسد لنا راجح صورة أخرى ، طالما ألح الشعراء على ذكرها دائما ، فممدوحه كثير العطاء ،يشرق وجهه للندى قبل أن يسأل فيقول في مدح الملك الأشرف(٤٢) :

يُعطـي ومـا حـدرَ السّـؤالُ لِثامَـه والوجْـه يُشـرِقُ في قِنـاعِ حَيـاءِ

ولم يقف عند هذا الحد من المبالغة والتملق والإطراء في وصف الكرم بل تبدو العلاقة بين الشاعر وممدوحه قائمة على العطاء وعلى من يدفع له .

ويرى راجح أن ممدوحَه ذو ثقافة واسعة (٤٣) :

وكـأن نـور ذُكـاءٍ إذ يبـدو وقـد شمـل البسـيطة علمـه وذكـاؤه

وكان الشاعر راجح (٤٤) قد جال الشام ومدح ملوكها ونادمهم ودخل مصر ومدح ملكها ، وفي حلب أطال راجح المقام فأرسل منها أعذب الأنغام، حتى لقب بالحلبي لطول مكوثه فيها ولقد لقي من ملكها الظاهر كل تقدير وإكرام، ونال منه رعاية عظيمة وعناية فائقة ، وقد أعجب بشعره أيما إعجاب ولم يعدل به شاعرا من شعراء عصره على كثرة من كان يحيط به من الشعراء، لما كان يتمتع به راجح من الخلق الكريم والفضل العميم ، والأدب المطبوع ، والذكاء الفطري ، والهمة العالية(٤٥) .

ومن الشعراء الذين مدحوا الملوك الأيوبيين الشاعر الحلي ابن البطريق(ت٦٤٢ه)،يقول في مدح الملك المظفّر (٤٦):

وحلَّ به بطشُ المظفّر بالعدا إذا كَثُرت بين الصفوفِ البوارقِ
فما يَعرفُ البلوى سوى قلقِ الحشا وسائدهُ تنبو به والنّمارِق
وبَاعَ حَياةً ، واشترَى الموتَ راضيا وما الموتُ في سوقِ المحبّينَ نَافِق
والبسَها منهُ ثيابَ مَحاسنٍ لها العَدلُ طُرزٌ والسّماحُ عَرائِق
وقالتْ حُصونُ المُسلمينَ بقولِها وكُن واثقا أن ليس يخجلُ واثِق
وقالتْ تُسرّ الدهر: إن سِهامنا لغيرِ الذي يَحمي (حماة) رواشِق

فالممدوح قد اقتنع بالموت راضياً في ثوب يجلله العدل والسماح في استعارة جميلة قل أن نجد نظيرا لها فإذا هو يحب الإحسان ، وحبه له طبع في نفسه من غير تكلف ، فضلا عن جوده.

ونجد أن علي بن البطريق بعد أن يذكر انتصارات الملك المظفر وبطشه بأعدائه وما ألحقه بهم من ذعر وهزيمة يبدأ بسرد صفات الممدوح قائلا(٤٧) :

فليْتَ عدواً قال : إني لقادرٍ على الصبرِ عنها للحبيبِ مُفارِق
وحلَّ به بطشُ المظفّرِ بالعدا إذا كُثِرَت بين الصفوفِ البَوارق
فتى يَعشقُ الإحسانَ طبعاً لحسنه وما عاشِق الإحسانِ والمتعاشِق؟
هُوَ العربيّ الجودُ والبأسُ والحيا تكملُ حسناً خُلقه والخلائِق

يبلغ الممدوح لدى علي بن البطريق أقصى حدوده لاسيّما وهو يجود بنفسه في ساحات الوغى (٤٨):

تمزّقَ ثوبُ الصّبر منْ حرجِ النّوى وسارَ إليها ، والغرامُ بَيارق
وأصدَقها نفساً عليهِ كريمةً تُناقشُ عنْ حقِّ العُلا وتُحاقِق

في هذه الأبيات صورة جميلة ، فالشاعر يرى أن مدينة(حماة) قد عشقته وأحبّت أن تكون زوجته،فسار إليها وأعطاها صداقها ،بأن بذل من أجلها نفسه الكريمة ،وقد وظف الشاعر الاستعارة الجميلة في قوله "تمزق ثوب الصبر" حيث أن ثوب الصبر

ليس من الثياب المعروفة. ويصف علي بن البطريق ممدوحه الملك المظفّر بالشجاعة والبسالة،فيقول(٤٩):

وحصْـــنُ عـــلاهُ لا يُـــرام وجْـــده لـــه فـــوقَ هامـــاتِ السّـــعود سَـــرادقِ
يشـبّ لظـى نـارِ الحُـروبِ ببطشِـه ومِـــن وجـــلٍ منـــهُ تشـــيبُ المَفـــارقِ
وتسـبِقُ حـدٌ السّـيف حـدةَ ذهنِـه فيـأتي المصـلي فيـه والمـوتُ سـابقِ

كان ابن البطريق((يترفع بنفسه من أن يمدح أحدا مجتديا))(٥٠) ومديحه للظّاهر والمظفّر يمكن أن يعد في باب إعجابه بالممدوحين ، بما وجده فيهما من أمور تستحق المدح والثناء، وما مدح به الملك الظاهر(٥١) وفيها يظهر إعجابه الكبير بالملك الأيوبي ويذكر صفاته من شجاعة وحمى وكرم محتدٍ وعلو شأنٍ ومنزلةٍ رفيعة، فيقول (٥٢) :

راقَـــتْ خلائقُـــهُ للّائـــذينَ بِـــه كأنّـــهُ مِـــنْ سُـــلافٍ، وهـــو إنســـانُ
لباسُـــه ثـــوبُ زهـــوٍ،ليس يخلعُـــهُ ومِـــن لبـــاسِ الخَنـــا واللّـــوم عُريـــانُ
يهـوى الهَـوى والتّصـابي دينُـه، ولـهُ إلى الحِســـانِ علـــى الحَـــالين إحســـانُ
كأنّمـــا عجنـــتْ بالمِســـكِ طِينتُـــهُ فمـــا يعـــنُّ لـــهُ مـــا عـــاشَ ســـلوانُ

وتكثر في هذه الأبيات الاستعارات التي تصور أخلاق الممدوح وطيبته وهي تكشف عن جوانب أخلاقية لا يعرفها إلا من عاشر الممدوح وأطلع على سرائره وهذه الصفات الخلقية التي ذكرها هي من الموروث الخلقي الذي ورثه المجتمع العربي عن أسلافه من سُراة القوم وأعيانهم .ونلحظ في هذه الأبيات ألوان بديعية عفوية تخاطب المشاعر والأحاسيس كما في مجانسته بين الحسان والإحسان .

وقد مدح الحسن بن علي القيلوي (ت٦٣٣هـ)(٥٣)الملك الظاهر (٥٤):

ووجهـهُ أحسـنُ مـن وجـهِ القمـر وعدلُـــه في مُلكِـــه مثُـــل عُمـــر

وقد سبقه في هذه الصورة راجح الحلي إذ يشبه عدل ممدوحه بعدل الخليفة عمر بن الخطاب فيقول راجح في مدح سنقر(٥٥) الحلبي:(٥٦)

فحبّـــذا منْـــك سَـــجايا عُرفـــتْ بمـــا لهـــا بـــين الـــورى مـــن منكِـــر

حُلـــمُ أبـــي بكـــرٍ وعـــدلُ عُمـــر ونُســـكُ عُثمـــانَ وبـــأسُ حيـــدر

فاستجمع كل الصفات التي عرفت بها تلك الشخصيات الدينية واختزلها في شخص الممدوح.

٢-مديح الوزراء والأمراء:

وقد حظي الوزراء والأمراء بالمرتبة الثانية من مدح الشعراء ، لذا نجد أن الشعراء يفردون لهم قصائد مدحيّة لا تقل شأواً عن قصائد مدح الملوك ، يقول راجح(٥٧) في مدح الوزير عبد الباقي بن محمد(٥٨) :

ذي المجدِ لو سَعتِ الكواكبُ خَلفهُ وتتبعـــــت آثـــــارهُ لـــــنْ تهتـــــدي

أن ممدوح راجح قد بلغ من المجد كلّ مبلغ فلو أن الكواكب سعت خلفه لخاب ظنّها عن اللحاق به ولم تهتدِ .

وقال راجح يمدح فيها الأمير مبارز الدين سنقر الحلبي واصفا إياه بالديمة وسط الجدب يقول فيه أبياتاً من الرجز(٥٩) :

إن جـــادَ في الجَـــدب رأيـــتَ ديمـــةً أو جـــدّ في الحـــربِ رأيـــتَ قَسْـــورا

إلى أن يقول فيه (٦٠) :

وكيـــفَ أغشـــىٰ بالمـــديحِ معشَـــرا مـــا زالَ عُـــرف الجَّـــود فِـــيهم مُنكـــرا

مـــا منَعـــوا أمـــوالَهم مـــع ثَـــروةٍ فَـــازوا بهـــا إلا وجـــدتَ مُعسِـــرا

تـــاللهِ لـــو كُنـــتَ ســـحاباً لم تكـــنْ مُرتَضـــــيا قَطـــــرك إلّـــــا دُررا

حويْـــتَ خَـــيرَ المُكرمـــاتِ والعُـــلا ومـــا حَـــوىٰ غـــيرُك إلا الخـــبرا

فـــابقَ علـــىٰ الأيـــامِ مَمنـــوعَ الحِمـــى مُبتـــذِل المعـــروفِ مرفـــوعَ الـــذّرىٰ

فالشاعر في البيت الأول من الأبيات أعلاه يسوق كلامه بصيغة الاستفهام الإنكاري وجاء الفعل (أغشى) ليدلل به عن كثرة مدحه، فالغشيان هنا هو الإحاطة بكل ما جاءت به معاني المديح ،الذي لا يتمكن الشاعر من الوفاء ولو بالقليل منه ،ويعلل ذلك بأن هؤلاء القوم فيهم شيء من نكران الذات وهي شدة مبالغة عن كرمهم قلما نجدها عند غيرهم من الأجواد والكرماء ،وفي البيت الرابع يصف

الشاعر ممدوحه بأنه قد حاز من المكرمات فيما لا يسع أقرانه إلا أن يقفوا متفرجين لا يملكون فعل أي شيء إزاء ذلك.

وفي الأبيات الآتية صورة أخرى من صور الكرم والجود، فممدوحه الأمير شهاب الدين يحيى بن الأمير المبارز أقجا(٦١) له طلعة كالبدر وجودا كالبحر وثباتا كالليث ويشبه الشاعر نفسه بالروض والأمير شهاب الدين كوبل السحاب ، يقول فيه(٦٢) :

يتجلّى بَدرا ويسمَحُ بَحرا ... ويُرينا أقدامُهُ ليثَ غابِ
ذو عطايَا كالرّوضِ فتّح زهرا ... وسَجايا كروضةِ الأحبابِ
سُؤدد مُشرقُ السّنا مُتعالٍ ... مشمخرِ الرّواق سامي القِبابِ
ما رأت عينُ جودِه روضَ آما ... لي إلا جادَت بوبْل سحابِ

فالصور هنا متعددة ، وهي من التشبيه البليغ وذلك في قوله (يتجلى بدرا)،و(يسمح بحرا) ، ،وفي البيت الأخير نجد جمال الاستعارة في قوله عين جوده والجامع بين العين والجود هو الكثرة والوفرة في صورة بيانية رائعة .

ولم تكن علاقات راجح قوية مع الملوك وإنما كانت له علاقات قوية مع الوزراء فها هو يمدح الوزير بحلب نظام الدين محمود بن الحسين الكاتب(٦٣) ،فيقول(٦٤) :

فقُل في أبيٍّ أبى أن تلوحَ ... وجوهُ مكارمِه غيرَ غرِّ
إذا ما استَهلَّ حيَا جُوده ... على الوفْدِ أتبَعه برقُ بشرِ
يخفّفُ مَرآهُ همّ الصدورِ ... ويُثقِلُ منه النّدى كُلّ ظهرِ
رَعى اللهُ أبلجَ طَلقِ الجّبينِ ... فيمناهُ يمني ويُسراهُ يسري
إليهِ حدا النّجح وفدّ الثناء ... فطافَ بأكرمَ بيتٍ وحجرِ
أزلتَ به ظِفرَ النائباتِ ... فليستْ تَصولُ بنابٍ وظُفرِ

يسبغ راجح على ممدوحه خصال السيادة والسؤدد، فهو كريم جواد يجلّله الشرف ويتلقى ضيوفه بالبشر، فرؤيته تخفف هم الصدور ونداه يثقل الظهور طلق الجبين وكأن اليُمْن والثناء يتسابقان إليه ليظفرا بالطواف حول بيته وحجره، وقد أزال

النائبات، وهنا يستعير الشاعر الأظفار للنائبات وكأن هذه النائبات حيوان مفترس له أظفار وهي استعارة موفقة .

وقد جعل الشاعر الحلي الحسين بن أحمد البغيديدي(٦٥) (ت٦٠٤ه) من عدالة الممدوح باعثا للجود وذلك باستدرار عاطفته، وقد أنشد أبياتا خاطب بها أحد وزراء بغداد(٦٦):

قُـــلْ للـــوزيرِ أدامَ اللهُ دولتَـــه يـا أعـدلَ النـاسِ حـالي كيـفَ تلتـبسُ
إنّ الغُـــلام وبرذونـــي قـــد نفـــق مـــن فـــرطِ جوعِهمـــا مـــا فيهِمـــا نَفـــسُ
وانْ تصـــرّم هـــذا اليـــومُ فغـــداً يشـي الغُـلامُ ولا يَمشـي بـي الفـرسُ

في هذه الأبيات يمدح الشاعر الوزير ناعتا إياه بأنه أعدل الناس، ثم يشتكي من فرط الجوع وان دابته سوف لا تقوى على حمله في اليوم التالي،وتدل هذه الأبيات على إن شعراء الحلة كانوا يستحضرون تفاصيل الحياة اليومية في شعرهم الذي يتوجهون به نحو الحكام.

وفي مدحه للأمير عماد الدين داود يقول راجح:(٦٧)

فيـا زمـان الصّـبا هـل أنـت مرتجـعٌ حتـى أقـولَ لأيـامِ الحِمـى عُـودي
غـاداك دانـي المـدى يـروي الصـدى يـــد الأمـــير عمـــاد الـــدين داوود
أغـرّ ينجـاب جلبـاب الظـلام بـه مـــورّث المجـــد عـــن آبائـــه الصـــيدِ
تُنضـى إليـهِ ركـابُ الحمـد ظامئـةً ترتـادُ ريّ الصّـدى في منبـعِ الجُـود

فالشاعر يسترجع أيام الصبا على عادة الشعراء الجاهليين، ثم ينعت ممدوحه الأمير عماد الدين داوود بالجود والكرم مورّث المجد عن آبائه الملوك، كريم الأفعال يقطع الظلام بغرّة وجهه فتنساق إليه ركاب المادحين ظامئة لترتوي من ري الصدى وتنقع منه الغلة(٦٨)ونلحظ في البيت الثالث أن الشاعر يستعير الجلباب للظلام وهي استعارة موفقة لما فيها من تصوير جميل فالثوب أو القميص يستر الجسم كما يستر الليل ضوء النهار وهي صورة قريبة من صورة الليل عند أمريء القيس(٦٩):

ولَيـلٍ كمـوجِ البحـرِ أرخـىٰ سُـدولهُ علـــيّ بـــأنواعِ الهمُـــومِ لِيبتَلـــي

فمجيء الليل يرخي الستار عن ضوء النهار فيثقل الشاعر بالهموم ،أما عند راجح فغرة الملك تقطع الظلام وتزيل الستار فالعلاقة بين الجلباب والستارة هو الستر في الحالتين.

٣-**مدح نقيب الطالبيين**:استحدثت نقابة الطالبيين في زمن الدولة العباسية ،وهي ترعى شؤون من ينتسب لآل أبي طالب ويعيّن عليها أحد السادة الأشراف العلويين ، وهيّ ولاية عامة على عموم الطالبيين يكون نقيبهم المسؤول الأول عن إدارة شؤونهم ، وتصريف أمورهم ، وإقامة العدل بينهم ، والانتصاف منهم ولهم ، ومؤاخذة الشاذّين والمتمردين منهم على الأوامر الشرعية ، وتوفير الحماية والدفاع عن الظلومين ، وتغطية كافة احتياجاتهم، وفوق كلّ هذا ، المحافظة على أنسابهم ومن الطبيعي لمثل هذه الولاية الهامة أن تتوافر في النقيب كل المميّزات الخيرة ، وأن يملك جميع المقومات اللازمة ، وأهمها شرف الأرومة ، المعززة بالعلم ، والثقافة العامة ، والخبرة الإدارية وأن يكون ذا شخصية قوية ، نافذ الكلمة مُهاباً عند الخلفاء وأولياء الأمور،فالنقابة خلافة مصغرة اضطلع بها عدد من السادة الأدباء المعروفين في التراث العربي من أمثال الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ) ، وأخوه الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ) ، فمن أقوال الشريف الرضي التي تظهر طيب مجده وأهمية هذا المنصب ، قوله لأحد الخلفاء العباسيين(٧٠):

ما بيننا يَوم الفخارِ تفاوت أبداً كلانا في المفاخرِ معرقُ
إلاّ الخلافَةَ طوّقتك فأنني أنا عاطلٌ عنها وأنتَ مطوّقُ

وكان نقيب الطالبيين في بغداد السيد رضي الدين بن طاووس(٧١) وفي الموصل احمد بن زيد الموصلي (٧٢).

وقد حاول الشاعر مهذب الدين الخيمي أن يضمن التقاليد الموروثة للمدحَة العربية ، من حيث الصفات التي أسبغها على ممدوحيه على وفق منازلهم (٧٣)ويمثل مديحه النوع الثاني من مديح الفقهاء ، فله قصائد في مدح مجد الدين احمد بن زيد بن عبيد الله الحسيني الموصلي ،فقد وصف ابن الخيمي هذه الشخصية بصفات تكاد تصل إلى مرحلة الكمال الخلقي فهي جامعة لكل الفضائل من حسب

وأدب وسخاء وإباء وملك وتواضع، فقلما تجتمع هذه الصفات الخلقية في الإنسان، يقول في مطلع قصيدة مدحه بها:(٧٤)

فهلْ بالغٌ مدحِ أمريءٍ كلُ قومِه ... لـه مننٌ ما تنقضي وصنائعُ
حسيبٌ أديبٌ ،قاهرٌ متعطّفٌ ... سَخيٌّ أبيٌّ مالكٌ مُتواضعُ

ومن الصفات التي مدح بها شعراء الحلة النُقباء ،صفة العدل، ولعلها من أهم السمات الخلقية التي يجب توافرها لدى نقباء الطالبيين، ومن ذلك قول مهذب الدين الخيمي في مجد الدين الموصلي(٧٥):

غدَتْ صورةُ الحدباءِ في الأرضِ ... بِعدلِكُم تُحدى إليها المَطامعُ
إذا تُليت بين اللئام تحتموا ... وانشَد كلّ ، وهو في البذل راتِعُ
سَما بي أوسٌ في الفِخارِ وحاتمٌ ... وزيدُ القنا والأثرمانِ ورافعُ

لقد غدت منارة الحدباء محط أنظار الناس وقبلتهم، حتى اقترنت صورة الحدباء بصورة نقيب الطالبيين ،وفي قوله تحتموا أي تذاكروا الأنساب، ليلتمسوا طريقا يقرّبهم منه، طمعا في عدله ونواله، فجوده يشمل الجميع، ولهذا الممدوح منزلة سامية تضاهي أشراف العرب وأجوادهم ممن اتصفوا بصفة العدل أو الكرم أو الشجاعة كحاتم الطائي وأوس بن حجر وزيد الخيل وغيرهم ، وإن جميع هذه الصفات اجتمعت في شخص هذا الممدوح.

وفي قصيدة أخرى في مدح ابن الخيمي لمجد الدين نقيب الطالبيين نجده يمدحه مشيداً بنسبه العريق لانتسابه لعلي (عليه السلام) والرسول (صلى الله عليه وآله) فيقول فيه(٧٦) :

لِيَهنَ بِكَ الشّهرُ الجَديد، فإنّما ... بَقاؤكَ في العزِّ الهَناء المجدّد
وحَسْبُك مَدْحاً أن تَبيتَ وحيدرٌ ... أبُوكَ وان تُضحي وجَدُّكَ احمدُ

المبحث الثاني

الرثاء السياسي

الرثاء :هو أوسع فنون الكلام مجالا واحفل أبواب الأدب بالحكمة ،ويتحتم على الشاعر أن يثبت صدقه ووفاءه لأسرة الممدوح ، فعند وفاة الممدوح ، ما على الشاعر إلا أن ينعاه بقصائد تفيض لوعة وحزنا، ولا يبتعد مفهوم الرثاء السياسي بإطاره

العام عن تحديد ابن رشيق لهذا المفهوم وهو:((أن يكون ظاهر التفجّع بين الحسرة مخلوطا بالتلهف والأسف والاستعظام إذا كان ملكا أو رئيسا))(٧٧)، وقد اعتاد الشعراء أن يرثوا رجالات الدولة وحكامها وأن يذكروا مآثرهم وينشروا فضائلهم ويذيعوا حسناتهم أما من باب الوفاء والجزاء لإكرامهم لهم في حياتهم أو تعزية لذويهم وكسبا لمن خلفهم ،ولا ننسى أن الواجب يحتم عليهم هذا الرثاء لان هؤلاء الشعراء من منظومة الحكم القائم في ذلك الوقت. وليس ببعيد رثاء شعراء الحلة للساسة ،فالبيئة السياسية التي جمعتهم مع الملوك والأمراء والوزراء دعتهم الى مثل هذا الرثاء ،ويمكن القول بأن قصائد الرثاء(هي القصائد التي رثى فيها شعراء الحلة الأمراء والوزراء والمتنفذين في الحكم وهم في رثائهم ذاك يذكرون ما قدمه المرثي في دنياه من أعمال حسنة وما يتمتع به من خصال حميدة وصفات فاضلة).(٧٨)

إلا أن هذا الرثاء لم يكن خالصا لأنه لم ينظم إلا لدافع سياسي دعا إليه منصب سياسي أو أن يكون المرثى من رجال السياسة والحكم ، فلولا وجوده في هذا المنصب لم يرثه الشعراء ولم يبكوا عليه(٧٩) ، والذي نلحظه في شعر راجح ـــ وهو أشهر شعراء الحلةـــ أن رثاءَه جاء في إحدى عشرة قصيدة ، وهي قليلة قياساً بالعدد الضخم من مدحه، وهو يميل في هذه القصائد الى استعمال المعاني التقليدية ، وبكاء الخلال السمحة في المرثي: كالشجاعة ،والكرم ،والحلم ،والحزم . وكان يوجز في عرض أحزانه ويفيض في تصوير الكرم عند المرثي ، ويشمل هذا الرثاء الملوك ،والوزراء والقادة ،ورجال الحكم .

ونجد أن صفات المدح السياسي تكرّر ذاتها في المراثي السياسية ومن ذلك صفة الكرم ،وهو بهذا يؤكد شخصية المفقود بكل مقوماتها الخلقية والإنسانية، قال راجح يرثي الوزير نظام الدين(٨٠):

أينَ الذي كانتْ غُيوثُ نَواله ... منهلّةً تَهمي على المُسترفدِ؟
أينَ الذي كانتْ تدلُّ على النّدى ... منه طلاقةُ ذلكَ الوجهِ النَّدي؟
حاشا لبابك أنْ يُعزَّ حجابُهُ ... دوني ويُغلقَ في وجوهِ القصّدِ
فلأضرمنّ بأدمُعي في أضلُعي ... ما شِئْتُ من جمرِ الأسى المُتوقدِ

تـــاللهِ لـــو تُفـــدى لجـــدْتَ بمهجـــةٍ ليـــد المنـــونِ وكنـــتُ أوّل مفتَـــدِ

نلحظ في هذه الأبيات أن الشاعر يكرر أداة الاستفهام (أين) ، سعيا منه لتعظيم المصيبة ،جاعلا من دموعه جمرا متوقدا يضرمها في ضلوعه ،فلو انه يستطيع أن يفديه لكان أول من يفديه بنفسه. ويدعو في مراثيه الى الصبر والجلد ، وعدم البكاء والحزن مقرنا ذلك بشخصية المرثي وصبره ، ويكرر الشاعر كلمة أين في البيت الأول والثاني وهي أداة يستفهم بها عن المكان والشاعر يعلم أن الذي يستفهم عنه هو الوزير نظام الدين،ولكنه يستفهم عنه من باب تجاهل العارف وفي استخدام أسلوب الاستفهام استعظام للمصيبة ونراه يرثي الملك الظاهر(٨١):

فيـــا مـــانعَ الإســـلامِ صـــبراً فإنّمـــا بصـــبرِكَ في كـــلِّ المـــواطنِ يُقتَـــدىٰ
فلـو كـان غـيرُ المـوتِ دافعـتُ دونَـهُ بطعـــنٍ يـــردُّ السّـــمهريَّ مُقصّـــدا

وفي البيت الأول يستعمل الشاعر أسلوب النداء بحرف النداء (يا) فهي تعطي مجالا لرفع الصوت والتنفيس عن الحزن بمدها وتكشف عن قلب مكروب أثقلته وطأة الحزن .

وقد رثى راجح أتابك نور الدين أرسلان شاه(٨٢) بقصيدة طويلة يقول فيها(٨٣):

أكـــذا شـــيمةُ أحـــداثِ الليـــالي؟ شـــنّ غـــاراتٍ وإرهـــافُ نِصـــالِ
كـــلُّ يـــومٍ غـــارةٌ مشـــبوبة تنهـــبُ الآجـــالَ مـــن غـــيرِ قتـــالِ

فهي الأقدار تسمو في أفق العلياء فتقنص آسادها كل غالٍ وعالٍ، والشاعر في هذه الأبيات يوظف الاستفهام الإنكاري،لأن الجواب حاضر لدى الشاعر ،وأراد أن يحمّل الاستفهام صورا من الحسرة والاستنكار تنبض بالحركة على الرغم من الهدوء الناتج عن التأمل لان أسلوب الاستفهام ينبع من حالة التأمل التي تفضي الى الحيرة والقلق والتوتر(٨٤):

أكـــذا تســـمو المقـــادير إلى هضـــباتِ المجـــدِ في أعلـــى جبـــالِ ؟
أكـــذا تهـــوي بـــدور الـــتمّ مـــن أفـــقِ العليـــاءِ مـــن بعـــد كَمـــالِ؟

أكـــذا يقـــنص آســـادَ الشّـــرى قـــدرٌ يـــرخص منهـــا كـــلُّ غـــال؟
أكـــذا تُخســـفُ أقمـــارُ الهـــدى أكـــذا تنســـف أطـــوادُ المعـــالي؟

إن في تكرار بعض الكلمات والمضامين في شعر الرثاء مايوحي لنا بوجود علاقة بين هذه المضامين وبين ظاهرة الحزن ، وهي ظاهرة تكثر في رثاء المرأة لأن في ضعفها عاملا مساعدا على تكرار هذه الصياغات لذا تكررت هذه المعاني أو المضامين حتى اقترنت بالبكاء(٨٥) ،كقول الخنساء(٨٦) :

لهفِـي علـىٰ صـخرٍ فـإنّي أرى لـهُ نَوافـلَ مَـن معرُوفـه قـد تولّـتِ
لهفـي علـى صـخرٍ لقـد كـان عصـمةً لمـولاهُ إذ نعـلٌ بمـولاه زلّـتِ

ونلحظ أن راجح يكرر كلمة (أكذا) في أربع أبيات متتالية، مقرنا أداة الاستفهام مع اسم الإشارة (ذا) فالشاعر يريد تهويل المصيبة ، وفي تكرار همزة الاستفهام ما يفضي الى حالة من الانكسار والتفجّع الشديد الذي ألمّ بالشاعر.

ومن الرثاء السياسي ما ذكره راجح في رثاء الملك الظاهر(٦١٣ه) (٨٧):

سَلْ الخطبَ إن أصْغى إلى مَن يُخاطبُه بِمـــن علِقَـــتْ أنيابُـــه ومخالبُـــهُ
نشـــدتُكَ عاتبـــهُ علـــى نائباتـــهِ وان كـــان نـــابيَ السّـــمعِ عمّـــن يُعاتبُـــهُ

شبّه الشاعر الموت الذي خطف الملك بالحيوان المفترس على سبيل الاستعارة المكنية، في قصيدة طويلة تقع في نحو(٤٠) بيتا . ويبدو الشاعر حزينا كئيبا متألما ، فرثاؤه صادق العاطفة لأنه أحسن إليه وأكرمه وقرّبه منه ، لذا نراه يحس بألم ممض من هذا الخطب(٨٨)، فيقول(٨٩) :

فَشُـلّتْ يمـينُ الخطـبِ أيّ مُهنّـدٍ بـرغم العُـلا سُـلّتْ وفلّـتْ مضـاربُهُ
فـأنّى يلـذُّ العـيشُ بعـدَ ابـنَ يوسـفٍ أخـو أمـلٍ أكـدَتْ عليـه مطالبُـه
مضـىٰ مـن أنـامَ العـدلَ في ظـلّ عدلـهِ وآمـنَ مـن خَطـبٍ تـدبُّ عقاربُـهُ
أرىٰ اليومَ دستَ الملكِ أصبحَ خالياً أمـا فـيكُمُ مـن مُخـبرٍ أيـنَ صـاحبُهُ

فبعد أن يعزي نفسه بفقدان الملك الظاهر ناعتا إياه (غياث اليتامى) وظلّا على الملوك يقول:(٩٠)

فمن لليتامىٰ يا غياث يُغيثهم إذا الغيثُ لم ينفعْ صدىٰ العام ساكبُه
ومن لملوكٍ كُنت ظلّا عليهم ظليلا إذا ما الدّهر نابَت نَوائبُه

فهو يرى أن عيشه لن يكون سعيدا بعد أن فقد من كان يسعده ويجعل حياته هانئة لذيذة، ويبين أثر خلو الدست من صاحبه متسائلا أين ذهب، ويمدح الفقيد بالصفات المحببة من شجاعة وكرم وغير ذلك ثم يتوجه إليهما بسؤال مهم عن مصيره ، أيغادر حلب الشهباء إذ توفي ملكه الذي طالما أوقف شعره في مديحه وتهنئته أم يبقى مع ولديه علّهما أن يعاملاه معاملة أبيه(٩١) ؟ فيقول:(٩٢)

أيمكثُ بالشّهباءِ عبدَ أبيكُما ومادِحُه أو تَستقلّ نَجائبُه؟)
فإن شئتُما بعدَ الغياثِ أغثتُما مُصاب سهامٍ فوقتها مَصائبُه
كأن لَمْ أقِف أَجْلو التّهاني أمامَه وتضْحكُ في وجهِ الأماني مَواهبُه
فَمليتما طولَ البقاء وعشتما لإحرازِ مُلكٍ ساميات مَراتبُه

ويريد الشاعر استدرار عطف الملكين ليبين لهما حزنه الكبير اثر رحيل أبيهما الملك الظاهر حتى انه لينظر إلى الصباح ، وقد صار مظلما ولعله ينظر بطرف خفي إلى أفق المجد الذي بناه الملك الظاهر ونلحظ التشبيه الجميل في الأبيات التالية حيث إن الشاعر يجعل من حالة فقدان الملوك أو رحيلهم، حالة شبيهة بتساقط الكواكب من السماء فيقول:(٩٣)

لي الله كم أرمي بطرفي ضلالة إلى أفقِ مجدٍ قد تَهاوت كَواكِبه
فما لي أرى الشهباء قد حال صُبحها على دُجىً لا تستنير غياهبه

وواضح ما في هذه الأبيات من صدق العاطفة وشدة اللوعة على هذا الفقيد العزيز الذي كان يحسن إليه وينعم عليه ويقدمه على غيره(٩٤). ولا ريب أن فقدان هذا الملك عند حلول فاجعة أليمة كالموت يستدعي استدرار الدموع ، وهي حالة من الألم تثيرها لواعج الحزن لاسيّما إن الشاعر كان يعيش في حماه ورعايته ولكن

الشاعر لم ييأس ، فهناك ولدا الفقيد وهما: الملك الصالح والملك العزيز، وقد ذكرهما في هذه القصيدة ومدحهما:(٩٥)

فُحَسبُ الـوَرى مَـنْ أحمـدٍ ومحمـدٍ مَليكـــانِ مَـــن عاداهُمـــا ذلّ جانبُـــه
هُما أحرَزا عَلياءَ غَازي بنَ يوسُف ومـــا ضَـيّعا المَجـدَ الـذي هُـوَ كاسِـبُه

ولإدامة حبل الوصال مع الملوك، نراه بعد رثاء الملك الظاهر يلتفت إلى ولديه الملك العزيز وأخيه الملك الصالح ، ويمدحهما ويذكر راجح بأن الملك العزيز، وأخاه الملك الصالح،هما سليلا مجد لأب وجد عظيمين فيقول(٩٦):

فتـــىً لم يَفُتـــهُ مـــن أبيـــهَ وجـــدّه إبـــاء وجـــدّ غالبـــاً مـــن يُغالبـــه
ومـنْ كـانَ في المَسْـعى أبـوهُ دَليلـه تَـدانى لـهُ الشّـأو الـذي هُـو طالبُـه
وبالصّـالحِ اَستعلى صـلاح رعيّـة لهـا منـهُ رعـى لـيسَ يُقلـع راتبـه
فَحسْبُ الـوَرى من أحمد ومحمد مليكـــانِ مَـــنْ عاداهُمَـــا ذلّ جانبُـــه
همـــا أحـــرزا علیـــاء غـــازي بـــن ومـــا ضـيعا المجـد الـذي هـو كاسـبه

وفي رثاء الملك الأوحد(٩٧)يحاول الشاعر أن يهون من المصيبة،فالموت كأس تدور رحاها على الجميع ، فيذكره هذا الخطب بذهاب الخلفاء والملوك وغيرهم من العظماء يقول راجح(٩٨) :

وهـــي الحادثـــاتُ لا عـــاجزٌ يبـــ قـــى عليهـــا ولا قـــويٌّ جســـورُ
فتكـــتْ بالرّشـــيدِ وابتـــزّت المهـــ ديَّ مـــا كـــان خلّـــف المنصـــورُ
قصُـــرتْ بـــاعَ قيصـــرٍ وثنّـــت بـــن عـــمّ الإيـــوانِ وهـــو كســـيرُ
لا نَعـــيمَ النّعمـــانِ دامَ ولا البُـــؤ س فسَـلْ عنـهُ ان أجـاب السّـدير
وسـلِ المُعتلـي علـى هَرمـي مصـ ر أأنجـــاهُ ذلـــكَ التـــدبيرُ؟

وتظهر في هذه الأبيات ثقافة الشاعر التاريخية ، فاستعان بسير الملوك والخلفاء ليكون عظة لأقرباء المرثي ، وقد ذكر شخصيات تاريخية مشهورة : كالرشيد والمهدي وقيصر والنعمان بن المنذر والفراعنة. والاستشهاد بتلك الشخصيات يحمل دلالات كثيرة منها الاتعاظ وتذكر الموت الذي لا مفر منه والتعزية والتأسي بهؤلاء، فضلا عن

أن ذكرها يحمل دلالات سياسية ، فبعض تلك الشخصيات عرفت بطغيانها وجبروتها ، وهذا الجبروت قد تلاشى وانمحى في لحظات الموت الخاطف .

ويتعدى رثاء الشعراء الملوك والحكام الى من يرتبط بهم من أسرهم وذويهم ،فعندما توفيت ابنة الخليفة المستعصم بالله ،واسمها عائشة وعمل لها العزاء في الرّصافة رثاها الوزير مؤيد الدين بن العلقمي(٩٩):

لا روّعــت بعــدها الخطُــوب لكــم سِــربا ولا فَصَــلتْ لكُــم جمَــلا

يسوق راجح هذا البيت مؤبنا الخليفة بمصاب فقد ابنته ، وذلك بأن تكون خاتمة الأحزان ثم يقول(١٠٠):

فــإذا ســلمت فكــلّ شــيءٍ ســالمٌ وإذا بَقيْــتَ فكُــلّ شــيءٍ بَــاقي

وهنا يخاطب الشاعر الخليفة داعيا له بالسلامة مذكراً بأن وجوده يغني عن فقدان المرثي فهو في موضع التعزية لا في موضع التفجّع والبكاء.

المبحث الثالث:

الهجاء السياسي :

فن الهجاء هو((أدب غنائي يصور عاطفة الغضب أو الاحتقار والاستهزاء وسواء في ذلك أن يكون موضوع العاطفة هو الفرد أو الجماعة أو الأخلاق والمذاهب))(١٠١).

يتضح لنا من هذا التعريف إن الهجاء يشمل على فنّي الشعر والنثر إلا انه أكثر شهرة في الشعر ثم إنه يصور العاطفة ، وإن موضوعه يشمل الفرد والجماعة والأخلاق والمذاهب. إلا أن تعريف الدكتور محمد محمد حسين على الرغم من شموليته ، فإنه لا يعطينا تعريفا جامعا مانعا للهجاء الذي هو فن الشتم والسباب، والذي هو نقيض المدح كما هو عند قُدامة:((الهجاء ضد المديح ،فكلما كثرت أضداد المديح في الشعر كان أهجى له، ثم تنزل الطبقات على مقدار قلة أصناف الأهاجي فيها وكثرتها))(١٠٢) .

وعند دراستنا لمضامين الهجاء في تراث الشعراء نواجه اتجاهات عديدة يصعب جمعها في إطار محدّد إلا أنه يمكننا أن نقسم الهجاء حسب رأي النقاد والباحثين على

الأقسام الآتية :الهجاء الشخصي، والهجاء السياسي والهجاء الاجتماعي(١٠٣)، إلا إن الذي يعنينا من هذه الأقسام هو الهجاء السياسي وصاحبه يرى أن مثله الأعلى في السلطان أو الحاكم أو أي حزب من الأحزاب أو طائفة من الطوائف أو مذهب من المذاهب، فهو يهاجم كل ما يتعارض مع هذا المثل من نقائض ومعايبْ تتمثل في أنصار مناوئيه وهو يزعم صادقا أو متصنعا انه يهاجم في سبيل الفضيلة والحق،ويلحق بهذا النوع من الهجاء ،الهجاء الديني والهجاء القبلي ويعتبر الهجاء القبلي صورة للهجاء السياسي في طوره البدائي(١٠٤) .

ومن دواعي هذا الهجاء الحسد والتنافس السياسي بين الشعراء داخل البلاط للتقرب الى السلطة السياسية ،فحينما يرتفع نجم أحد الشعراء ويحظى بمنزلة رفيعة لدى السلطان أو الأمير فإن الآخرين يحاولون إثارة الفتن والدسائس ضده، ومن الأمثلة على ذلك ما حصل لراجح الحلي مع منافسيه من شعراء داخل بلاط الملك الظاهر ،فكانوا يدبّرون المكائد لإثارة حفيظة الملك الظاهر، ولكنهم غالبا ما يردّون خاسرين ،وان نالوا شيئا فلا يمكن أن يصلوا إلى ما وصل إليه راجح ، فناصبوه العداء، وهجاه كثيرٌ، منهم الشاعر بدر الدين عبد الرحمن العسقلاني(ت٦٣٥ه)(١٠٥) الذي يقول(١٠٦):

يقولونَ ما بالُ حظّك ناقصا لدىٰ راجح ربُّ الفهاهةِ والجهلِ
فقُلتُ لهُم إنّي سَمّي بنَ ملجم وذلكَ اسمٌ لا يقولُ بِهِ حلي

وفي هذين البيتين ،يعرض بدر الدين بالشاعر راجح الحلي ويقلل من شأنه. وقد امتد هذا الحسد إلى الشعراء الحليين أيضا ومنهم الشاعر علي بن البطريق(٦٤٢ه) حين بلغه أن الملك الأشرف أنعم على راجح بسيف محلى فتقلد به، وتشبه بالشاعر الحيص بيص(١٠٧) فقال ابن البطريق يهجو راجح:(١٠٨)

تقلّد راجح الحلي سيفاً محلى واقتنى سمر الرماح
فقالَ الناسُ فيهِ، فقلتُ:كُفوا فليسَ عليهِ في ذا مِن جُناح
أيقدرُ أن يغيرَ علىٰ القَوافي وأموالُ الملوكِ بلا سِلاح؟

في هذه الأبيات يسخر ابن البطريق من راجح لتقلده السيف، ويصور لنا الناس متعجبين مندهشين لهذا الأمر ، فما كان منه إلا أن علّله لهم مبينا أنه أمر طبيعي، إذ على كل سارق أن يتسلح بمختلف أنواع الأسلحة، ويجب على راجح أن يكون هكذا لأنه يسرق شعر الآخرين، كما يغير على أموال الملوك(١٠٩)، فذكر أنه استخدم السيف ليقطع الطريق وهذا يعطي جوابا عن سؤال بعض الباحثين(١١٠) عن عدم وجود علاقة طيبة أو تعارف في بلاد الغربة بين أبناء البلد الواحد ؛ بل أنه يصور لنا سوء العلاقة بينهما وعدم انسجامهما وتآلفهما لاسيّما وإن ممدوحهما هو الملك الأيوبي إلا أن الدكتور مصطفى جواد يؤيد وجود صلة بين راجح الحلي ومهذب الدين الخيمي وأن الصلة معدومة بين ابن الخيمي وابن البطريق(١١١).

ومن الهجاء السياسي ما كان في هجاء أصحاب السلطة ومن ذلك هجاء ابن البطريق لعبد الرّحمن بن هبة الله بن علي الميسري المصري الوزير، (ت٦٤٣هـ)(١١٢)يقول(١١٣):

يا فلكَ الدّين إذا ما رمَوْا في قَبقٍ لا تَقربِ الموكِبا
فربّما أعوَزهم قُرعةٌ ولا يَرى المولى لهُ مَهرَبا

في هذه الأبيات هجاء قريب إلى التندّر بهذا الوزير فالشاعر يسخر من الوزير ويحذره بأن يكون هدفا للسهام بدل القبق(١١٤)، والملاحظ أن هناك تقاربا على درجة ما بين السخرية والهجاء، وغالبا ما تختلط عناصر هذين الفنين في الشعر فالعلاقة بينهما متبادلة ويستخدم الهجاء فن السخرية وأدواتها في التعبير، فكل منهما يسعى الى الموازنة بين واقع الأشياء وبين الذي يرجى لها أن تكون(١١٥).

وقد يكون الهجاء شديد الأثر والوقع عندما يتعرض لإبراز عيوب الحكام أو الساسة بطريقة ساخرة مضحكة ويهدف هذا النوع من الشعر ((إلى وضع حد لممارسات دينية وسياسية غير مقبولة والتحريض عليها بهدف القضاء عليها، وتنقية المجتمع من آثارها السلبية))(١١٦)،وفي بيتين يهجو فيهما علي بن البطريق الأمير فخر الدين يوسف بن الشيخ ت(٦٤٧هـ)(١١٧) ،ويصفه فيهما بأنه شخص مداهن يسعى حثيثا وراء المناصب ويلبس لكلّ حالة لبوسها ، يقول فيه علي بن البطريق(١١٨):

علـى منيـة السّـودان صـار مشربشـا وأعطـوه شـبرا عنـدما شـرب الخمـرا
فلـو ملكـت مصـر الفـرنج وأنعمـوا عليـه بيبـوس تنصّـر للأخـرى

وقد كان أول أمره معمّما ،فألزمه الملك الكامل أن يلبس الشّربوش(١١٩) وزيّ الجند،فأجابه إلى ذلك ،وأقطعه منية السودان بالديار المصريّة، ثم طلب منه أن ينادمه، فأجابه إلى ذلك، فأقطعه شبراً وهو على استعداد أن يكون نصرانيا إذا الفرنجة ملكوا مصر.

كان هنالك هجاء لدى شعراء الحلة وهذا الهجاء سببه عداوات سياسية بين الشعراء أنفسهم ولهذا الهجاء أثر كبير في توجيه الرأي العام وتغيير قرار السلطان في اتخاذ الأحكام التي تتعلق بتنظيم حياة الأفراد وملاحقة المتهمين بسرقة أموال الناس بما لا يجد الحاكم عنه بدا لشيوع الخبر وبلوغه أسماع الحاكم، ، فقد كتب ابن الخيمي لابنه لما عذبه بنو سناء الملك وعصروه بآلة العصر وصودرت أمواله ((فتألم لذلك أشد الألم ،إذ شعر إن ابنه صودر ظلماً على الرغم من أمانته وإخلاصه ونزاهته ،في الحين الذي يثري فيه أناس بلا كد أو عناء ،كما يثري آخرون بوسائل غير شريفة وطرق ملتوية))(١٢٠) ، فقال في ذلك(١٢١):

عصَـــروك أمثـــالَ اللصـــو ص ولم تُفـــد تلـــكَ الأمانـــةِ
فـــإذا سَـــلِمت فخُـــنهمُ إنّ السّـــلامةَ في الخِيانـــةِ
وافْعـــل كفِعْـــلِ بَـــني سَـــنا ءِ المُلـــك في مَـــال الخُزانـــة

فبلغ ذلك السلطان فأمر بإطلاقه من ساعته، ويقال أن الناس أعجبوا ((بهذه الأبيات أشد الإعجاب ،ووقعت في نفوسهم موقعاً حسناً،لأنها صورت الواقع الذي يعيشون فيه أصدق تصوير؛(إن السلامة في الخيانة) لقد انعكست الأوضاع وتغيرت القيم، وأصبحت الأمانة صفة غير حميدة وشيئاً يُعاقَبْ عليه)).(١٢٢)وعلى أثرها أمسك بنو سناء الملك وصودروا . ومن الواضح أن للشعراء منزلة كبيرة لدى الناس والحكام ،،وإلا لما حصل لبني سناء الملك من قبيل المصادرة وإلقاء القبض وهم أولوا جاه وسطوة بسبب هذه الأبيات .

وبهذه الطريقة، أراد مهذب الدين بن الخيمي سلب الفضائل النّفسية من المهجوّ وإظهار عيوبه أمام الناس فمنه قوله يهجو الأسعد بن مماتي(١٢٣)(ت٦٠٦ه)،شاكّا في إسلامه بعد أن كان نصرانيّا:(١٢٤)

وحـديثُ الإسـلامِ واهـي الحـديثِ باسـمِ الثّغـرِ عـنْ ضـميرٍ خبيـثِ
لـو رأىٰ بعـضَ شـعرهِ سـيبويهُ زادهُ في علامـةِ التأنيـثِ

وواضح من شعره هذا انّه يستعمل بعض مصطلحات النحويين كما هو معروف عن ابن الخيمي عن تضلعه في علوم العربية إلا أن الشاعر مهذب الدين بن الخيمي يمتلك شيئا من روح العصر المملوكي ، وهو فن التهكم والسخرية ، فقد هجا الوزير صفيّ الدين ابن شكر (ت٦٢٢ه)(١٢٥) بعد أن عزل عن الوزارة ، فرجع كما كان فقيرا:(١٢٦)

أيـنَ غِلمانُـك المُطيفـونَ بالبغـلَـةِ، والرّافعـونَ فضـلَ الثّيـابِ؟
ردّك الـدّهرُ كالنّـداء علـىٰ النـ نيـلِ بِـلا حاجـبٍ ولا بـوّابِ

ومن الهجاء السياسي ما ذكره ابن الخيمي في هجاء أهل مصر، فبعد سيطرة صلاح الدين الأيوبي على مصر ، أزال الدولة الفاطمية واضطهد الأشراف من الشيعة وحبسهم في قلعة الجبل ،وأخذ أموالهم وقصورهم ،ولأن ابن الخيمي كان من الشيعة فقد أصابه الأذى فحُبِس في قلعة الجبل مع الأشراف وفي ذلك يقول مهذب الدين ابن الخيمي :((وفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة عوقبت بالقلعة ،فوجدت بها من الأشراف أربعين شريفاً))(١٢٧) ،ولذلك فإن هجاءه لأهل مصر هجاء ينم عن مرارة وحرقة كبيرة، فيقول فيهم (١٢٨):

أقمـتُ بمصـرٍ جُـلّ عُمـري فلـم أجِـد بهـا أحـداً يُجـدي،ولا عالمـاً يَهـدي
أُزاحـم مـنهُم ألـفَ ألـفٍ بِمنْكِبِـي وأُمسِـي كـأنّي بِـتُّ في قفـرةٍ وَحـدي
فـدعهُم وجـاورِ غُلـبَ أُسـدٍ بِغابَـةٍ فأسـلمُ مـنهُم جِـيرةً جـيرةُ الأُسـدِ

(المبحث الرابع)

شعر الوقائع السياسية:

تميزت البلاد العربية في القرن السابع الهجري بكثرة الأحداث والوقائع السياسية، وقد سجل الشعراء هذه الأحداث والوقائع في نظمهم واشتهر شعراء الحلة في هذا القرن بهذا النوع من الشعر وهو ما يطلق عليه بـ (شعر الوقائع). ولا شك في أنه من الشعر السياسي الذي يصف أهم الأحداث السياسية(١٢٩) ، فهو يؤرخ للحوادث السياسية التي وقعت في زمن الشاعر فيظهر أثر تلك الوقائع جليا في شعره.

ومن شعر الوقائع ما يصوره مهذب الدين الخيمي في شعره من وصف للأحداث التي وقعت في أيامه، فكان شعره مرآة تظهر ما يقع أمامها بدقة وإخلاص، فحين أخذ الفرنج مدينة(دمياط) سنة(٦١٦ه) بعد أن حاصروها مدة من الزمن، وحل بها الطاعون فأنهك أهلها وفتك بهم، فعجزوا عن الدفاع عنها، وتعذر على الملك الكامل بن الملك العادل بن أيوب أن ينجدهم على عجل، فاضطر أهلها إلى أن يتفاوضوا مع الفرنج لفتح أبواب المدينة على أن يتركوها بعد نقل أموالهم وأولادهم، ولكنهم ما كادوا يفتحون الأبواب حتى غدر الفرنج بأهل دمياط ، ووضعوا فيهم السيف قتلا وأسرا ، وباتوا يأتون المنكرات ويعملون الموبقات، ويرتكبون المحرمات(١٣٠) ، فانتشر بين أهلها الذعر والفزع والرعب والهلع، فتألم الناس لذلك أشد الألم، وكان وقْع الحدث عظيما على كل إنسان فما كان من الشعراء إلا أنهم عبروا عن مشاعرهم بأشعارهم(١٣١) ، وكانت مشاعر الحزن تستولي على الشعراء فقد عبروا عن هذا الحدث العظيم بشعر يفيض لوعة وحزنا على البلد العربي المنكوب ، وفي ذلك يقول مهذب الدين الخيمي:(١٣٢)

ولقد بكيتُ لثغرِ دمياطَ دماً ... ووجَدْتُ وجْدَ الفاقدِ المحزونِ

أرضُ العبادةِ والزهادةِ والتقىٰ ... وتلاوةِ القُرآن والتّأذينِ

وبئتْ وأوبأها العدوُّ، فأهلُها ... شُهداء بين الطَّعنِ والطّاعونِ

وفي هذه الأبيات يشبه الشاعر نفسه بمن يفقد شيئا ، فهو كالواله أو الفاقد لعزيز قد ألهب فراقه قلب الشاعر حزنا ، وفي البيت الثاني يحرض الشاعر أبناء الإسلام في وجوب الدفاع عن بلادهم المحتلة وما أنفك أبناؤها عن العبادة والزهادة وقراءة القرآن والأذان، أما حال أهلها فقد استشهدوا بين الطعن ووباء الطاعون الذي تفشى فيها.

ثم بعد ذلك نصر الله المسلمين نصرا عزيزا، إذ جهز الملك الكامل جيشا بقيادة أخويه :الملك الأشرف موسى والملك المعظم عيسى ، فأخرجوا الفرنج بعد حروب طويلة ومعارك عنيفة وتم النصر كاملا سنة (٦١٨ه) ،فاحتفل الملك الكامل احتفالا عظيما في مدينة المنصورة وقد حضره أخواه، وقد أنشد الشعراء في ذلك شعرا، وتغنى راجح الحلي بانتصاراته على الإفرنج(١٣٣).وفي ذلك يقول ابن تغري بردي(٨٧٤ه)موثقا هذا النصر العظيم: ((فلما عاينوا الهلاك أرسلوا إلى الملك الكامل يطلبون الصلح والرهائن ،ويسلمون دمياط، فمن حرص الكامل على خلاص دمياط أجابهم، ولو أقاموا يومين أخذوا برقابهم فبعث إليهم ابنه الكامل الملك الصالح نجم الدين أيوب، وابن أخيه شمس الملوك، وجاء ملوكهم إلى الكامل ممن سمينا، فالتقاهم وأنعم عليهم وضرب لهم الخيام ، ووصل المعظم والأشرف في تلك الحال إلى المنصورة في ثالث رجب ، فجلس الكامل مجلسا عظيما في خيمة كبيرة عالية ،وقد مد سماطا عظيما، وأحضر ملوك الفرنج والخيالة ، ووقف المعظم والأشرف والملوك في خدمته))(١٣٤)وقد أشاد راجح بهذه الحادثة قائلا:(١٣٥)

هنيئـــاً فـــإن السّـــعدَ راحَ مُخلّـــدا وقـــدْ أنجـــزَ الـــرّحمن بالنصـــرِ مَوعـــدا
حَبانـــا الـــهُ الخلـــقِ فتْحـــاً بَـــدا لنـــا مُبينـــــاً وإنعامـــــاً وعـــــزّاً مؤيّـــــدا
تهلّـــلَ وجْـــهُ الـــدّهر بعـــدَ قُطوبِـــهِ وأصْـــبحَ وجـــهُ الشّـــركِ بـــالظُّلمِ اسْـــوَدا
ولّـــا طغَـــا البحـــرُ الخِضـــمّ بأهلِـــه إلـــ طّغـــاة وأضْـــحى بالمراكِـــب مُزبـــدا

وفي القصيدة نفسها مدح الملوك الأيوبيين بأنهم يهدمون الشرك ويحمون حمى الإسلام فيقول:

أقـامَ لهـذا الـدّينِ مَـنْ سـلَّ سَـيفُه صَـــقيلاً كمَـــا سّـــل الحُســـام مُجـــردّا

فلـمْ يـنجُ إلا كـلُّ شـلو مجـدّل تـولّىٰ مـنهم أو مَـن تَـراهُ مُقيّـدا
ونـادىٰ لسـانُ الكـونِ في الأرضِ عقيرتُـه في الخَـافقين مُنشِـدا

وإن هذا النصر قد تحقق للكامل بمعونة أخويه المعظم عيسى والأشرف موسى يقول راجح من القصيدة نفسها:

أعبـادَ عِيسـىٰ إن عيسـى وحزبَـه وموسـىٰ جميعـاً يخـدمونَ مُحمـدا

وواضح أنه قصد التورية حين جعل المعظم عيسى والأشرف موسى يقفان في خدمة أخيهما الكامل محمد وهي تورية بديعة(١٣٦)وذكر الباحثون أن لابن البطريق أبياتا في هذه الحادثة فمن المؤكد جدا أن ابن البطريق رحل إلى مصر مع غيره من الشعراء ،ضمن المهنئين بهذا الانجاز التاريخي؛ إلا أنّ هذه الأبيات لم تصل إلينا وضاعت مع ما ضاع من شعره . ومن هذه الوقائع؛ واقعة بني قتادة ،ففي سنة(٦٣٩ه) أغار بنو الحسين أخوال شريف مكة راجح بن قتادة الحسني بعد أن إستنجدهم على ابن أخيه الحسن بن علي بن قتادة لاسترجاع إمارته فخرج إليهم (أبو نمي)(١٣٧) ابن الحسن بن علي وحمل عليهم فهزمهم ورجع. وفي ذلك يقول جعفر بن معية (كان حيا سنة ٦٨١ه) على لسان بني حسن بالعراق من قصيدة يذكر فيها الواقعة ويمدح أبا نمي(١٣٨):

ألمْ يبلغْـكَ شـأنُ بَـني حُسـينٍ وفـرِّهم ومـا فَعـلَ (الحـرونُ)
فيـا لله فِعـل(أبي نَمـي) وبعـضُ الفعـلِ يشـبهُهُ الجُنـونُ
يَصـولُ بـأربعينَ علـى مـئينَ وكـمْ مـنْ كثـرةٍ طلبـتْ تَهـونُ

وفي هذا دلالة على إن طرفي المعركة غير متكافئ فبنو الحسين في تسع مائة فارس وبنو الحسن في أربعين فقط وكان النصر حليف بني الحسن(١٣٩) . ولا شك في أن هذا الشعر يصف واقعة تاريخية تتعلق باسترداد إمارة مكة فهو يمثل التاريخ السياسي لإقليم مكة والحجاز.

ومن شعر الأحداث السياسية ما وصفه لنا ابن البطريق من الواقعة المهمة وهي واقعة الإغارة على الحجاج المتوجهين لأداء فريضة الحج سنة(٦٣١هـ)، وقد وقعت هذه الحادثة بعد عودة ابن البطريق إلى مسقط رأسه وكان في بغداد ، حيث عاد إلى

الحياة العامة ،مشاركا في وصف الأحداث بشعره ، وفي هذه السنة عين الخليفة العباسي أميرا للحاج هو شمس الدين فركان(١٤٠) ، وعندما سارت حشود الحجاج لأداء الفريضة، قطع عليهم الطريق ومنعوا من أدائها(١٤١) ،إذ هاجم بعضهم أعراب من (الأجاودة) ودفنوا آبار الماء في منزل السّلمان، وطلبوا من الحجاج مالا كفدية لمصالحتهم وتركهم يعودون في أمان الى بغداد بعد أن أسروا كثيرا من وجوه الحاج وألقوهم رهائن عندهم، وقد استفتى أمير الحاج بعض الفقهاء الذين كانوا معه فأفتوا بجواز رجوع الناس. فرجع خلق كثير وظل الحجاج المحتجزون ينتظرون رحمة الأجاودة ويتوقعون نجاح المفاوضات مدة طويلة من الزمن ، وعاد هؤلاء الحجاج بعد أن مات خلق كثير ، فعم الخطب وانتشر الحزن بين الناس، وتألم الخليفة العباسي المستنصر أيما ألم.فقال ابن البطريق قصيدته المشهورة التي يحرض فيها الخليفة على محاربة هؤلاء الأعراب ويظهر في هذه القصيدة أثر ثقافته الفقهية وتضلعه في العلوم الدينية:(١٤٢)

الكفرُ في التركِ دونَ الكفرِ في ألـيسَ منْهم إذا عـدوا (أبـو لهَـبِ)
وليسَ منهم (أبو جهل) وبنتُهم عـدوةُ (المصـطفى) حمالـةُ الحطـبِ
فيا إمامَ الهُدى يا خيرَ من نُظمتْ لـهُ المـدائحُ يـا ابـنَ السّـادة النّجـب
يا أيّها القائم المنصورِ أنتَ إذا حضـرتَ وجـهُ رسـولِ اللهِ لم يغِـبِ
فاغزُ الأعاريبِ بالأجنادِ مُنتقماً مـنهم ولا تَـرع فـيهم حُرمـة النّسـب

والقصيدة صرخة مدوية واضحة أطلقها الشاعر يستنهض بها الخليفة لمحاربة أولئك المجرمين(١٤٣).

الخاتمة

بعد التطواف في ربوع الشعر الحلي في القرن السابع الهجري والتجوال بين شعرائه واستقراء شعرهم السياسي تمخضت لنا بعض النتائج المهمة منها :

١- إن شعراء الحلة عاشوا أجواء سياسية مضطربة وتناحراً وتمزقاً تمثل في الانقسامات والصراع على السلطة .

٢- في جانب المدح اعتمد شعراء الحلة الجانب الإعلامي؛ لإظهار هيبة الممدوح السياسي وعظمته ومكانته سياسيا .

٣- كان شعراء الحلة يرثون أصحاب السلطة في ضوء مفاهيم المدح السياسية ، فتشابهت لديهم الصور والمعاني بين مدائحهم ومراثيهم حتى تكاد تتلاشى المسافات والحدود بينهما .

٤- أفاد شعراء الحلة من الموروث الأخلاقي، والقيم الاجتماعية في تحديد البطولات السياسية للممدوح ، وكان الخطاب الشعري لديهم يؤكد على منظومة القيم المتوارثة

٥- نجد أن شعراء الحلة كانت لديهم نظرة شمولية واتجاه وحدوي عربي تتجاوز البيئة التي عاشوا فيها .

٦- دخلت السياسة على خط الهجاء في الشعر الحلي وكانت الخصومات السياسية تغذي هذا التوجه ، وقد حاول الشعراء استغلال الجوانب السلبية لدى السلطة الحاكمة لتشويه صورتهم أمام المجتمع.

٧- أثبت شعراء الحلة أنهم كانوا على وعي سياسي بمجريات الأمور ، وقد وجهوا الخطاب الشعري في تلك الحقبة المهمة لإظهار إيجابيات السياسة والحكام ، وحث السلطة على تحقيق العدالة بين شعوبهم .

ملخص البحث

انصرف كثير من الباحثين عن دراسة الادب العربي في المرحلة التي تلت سقوط بغداد ، متذرعين بعقم الأدب ، وفقر الشعراء في اللحاق بمن سبقهم، وقد ترسخ هذا المفهوم لعدة قرون وإلى يومنا هذا ، فأطلقوا عليه سماتٍ ونعوتاً كثيرة وهي في الأغلب كانت إجحافاً بحق أدباء هذه الحقبة وشعرائها . والحقيقة الأكيدة أن شعر هذه الحقبة لايخلو من إبداع فكري وخلق فني .مما لاشك فيه أن الأحداث السياسية التي مرت بها الأمة الإسلامية تركت أثرها في الحياة الأدبية عموماً والشعر خصوصاً . وقد وقع اختيارنا على شعراء مدينة الحلة لعدة أسباب منها قربها من الأحداث السياسية التي عصفت بالعراق آنذاك ، ولأن هذه المدينة أصبحت قبلة المتعلمين

ومركز الحضارة بعد سقوط بغداد ، فبزّت أقرانها من المدن الإسلامية ؛ فتخرج فيها العلماء الأعلام والشعراء الكبار وهذا البحث جاء ليسلط الضوء ويكشف عن أهم شعراء الحلة في القرن السابع الهجري ممن كانوا من أبناء الحلة أو ولدوا فيها . وقد حاولنا استقراء الأثر السياسي في شعرهم في مدة شابها كثير من الشبهات والملابسات .والبحث يتكون من مقدمة وأربعة مباحث هي : المدح السياسي، والرثاء السياسي ، والهجاء السياسي ،وشعر الوقائع السياسية ، يتلوها خاتمة بأهم النتائج وثبت لمصادر ومراجع البحث .

Abstract

Many researchers went on to study Arabic literature in the period following the fall of Baghdad, citing the infertility of literature and the poverty of poets in catching up with their predecessors. This concept has been entrenched for centuries, and today it has been characterized by many features and labels. Period . The fact is that the poetry of this era is not free of intellectual creativity and artistic creation.

There is no doubt that the political events experienced by the Islamic nation left their impact in literary life in general and poetry in particular. We have chosen the poets of the city of Hilla for several reasons, including proximity to the political events that hit Iraq at the time, and because this city became the kiss of the educated and the center of civilization after the fall of Baghdad, Vbzdnha from the cities of Islam; and scientists emerge from the flags and poets adults.

This research came to highlight and reveal the most important poets of Hilla in the seventh century AH who were sons of Hilla or born in it. We have tried to extrapolate the political impact in their poetry in a period of young people with many suspicions and circumstances.

The research consists of an introduction and four topics: political praise, political lamentation, political satire, and political facts, followed by a conclusion of the most important results and proven sources and references research.

هوامش البحث

(١) ينظر:أدب السياسة في العصر الأموي،أحمد محمد الحوفي :١٠.

(٢) ينظر: الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد، عبد الكريم العبود :٧٣-٧٤.وينظر: الشعر العربي في العراق وبلاد العجم ،جواد علي الطاهر:٥٤/٢.

(٣) ينظر: أدب الحلة:٤٧.

(٤) ينظر:الشعر العربي من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد:١٣٦.

(٥) ينظر :أدباء حلّيون،جواد علوش:١٢٩.

(٦) ينظر:الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد:١٢٨.

(٧) ينظر: المصدر نفسه :١٤٣.

(٨) ينظر:الأدب الجاهلي :غازي طليمات:١٦٠.

(٩) الآداب العربية في العصر العباسي الأول:محمد عبد المنعم خفاجي:١٥٨.

(١٠)عمر بن جلدك المطالعاتي (ت٦٥٤ هـ) وكان مقدم الفراشين بدار الخلافة يحمل المطالعات من الخليفة الى أرباب الدولة وغيره.ورد ذكره في العسجد المسبوك ٦٢١ : ((أنه كان من أخص من خدم بدار الخلافة ، خدم الظاهر والمستنصر والمستعصم وكانت المطالعات تبرز على يده إلى الوزير)) .

(١١) ينظر،أعيان الشيعة :م٩/ ٩٦:،الحوادث الجامعة:١٩٥؛الشّبى:شبوا من شبو الشيء أي علا وارتفع واتّقد.وهنا بمعنى الشّباة :طرف السيف وحدّه .

(١٢) بهرام جور أو بهرام گور أو بهرام غور باللغة الفارسية :بهرام گور (بهرام الخامس) كان ملكاً ساسانياً ، حكم ثماني عشرة سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما ويخالف رواية أخرى في انه حكم ثلاثا وعشرين سنة،ينظر:تاريخ الملوك والأمم: الطبري: ٢٠/٢.

(١٣) ينظر:الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد:١٤٣.

(١٤) ينظر ؛أدباء حلّيون :١٠٤.

(١٥) ديوان راجح:٣٨٥، شمام :اسم جبل لباهلة وهو جبل طويل أشم ،معجم البلدان :٣٦٠/٣؛ثبير:أعظم جبال مكة،معجم البلدان ٧٣/٢ .

(١٦) ديوان راجح:٣١٩.

(١٧) ينظر:الشعر العراقي في القرن السادس الهجري:١٥٩.
(١٨) ديوان راجح ٣٦٠.
(١٩) المصدر نفسه:١٣٧.
(٢٠) المصدر نفسه:٣٠٧.
(٢١) مسعود بن أرسلان شاه بن عز الدين ،صاحب الموصل، (ت٦٠٧هـ):وفيات الاعيان١/١٩٣.
(٢٢) المصدر نفسه : ١/١٩٣.
(٢٣) شرح المعلقات السبع :أبو علي الزّوزني:١٢٧.
(٢٤) ديوان راجح: ٢٧٢ .
(٢٥) المصدر نفسه:٢٥٦.
(٢٦) موسى بن أبي بكر. سبقت ترجمته في تمهيد البحث .
(٢٧) ديوان راجح : ١١٣.
(٢٨) المصدر نفسه: ٤٥٢.
(٢٩) الملك الرحيم بدر الدين الأتابكي (٦٥٧هـ):النجوم الزاهرة:٧/٧٠.
(٣٠) ديوان راجح:٢١٤-٢١٥.
(٣١) المصدر نفسه:٣٦٠.
(٣٢) المصدر نفسه:٢٣٦.
(٣٣) أبو جعفر بن محمد الناصر لدين الله العباسي ولد سنة (٦٢٣هـ)، كان ذا همة عالية، وشجاعة ، نشر العدل وقرب أهل العلم (ت٦٤٠هـ) ؛ ينظر تاريخ الخلفاء:٤٦٠ .
(٣٤) ديوان راجح : ٣٤٣.
(٣٥) المصدر نفسه:٤٥٤.
(٣٦)المصدر نفسه: ١٥٧.
(٣٧) موضع ارتحل منه الفرنج ورد ذكره في "الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر".
(٣٨) ديوان راجح:٤٦١.
(٣٩) المصدر نفسه:٣٥٣ سافرا:مسافر الوجه المناطق الظاهرة من الوجه.
(٤٠) المصدر نفسه: ١٨٠.

(٤١) السلطان يعقوب بن أبي بكر بن شاذي الملك العادل (ت٦٥٤هـ):شذرات الذهب:٥/٢٦٦.

(٤٢) ديوان راجح : ١٠١ ، حدر اللثام عن فمه:أزاله.

(٤٣)المصدر نفسه:١١٦.

(٤٤) ينظر أدباء حلّيون :١٤٢.

(٤٥) ينظر:المصدر نفسه :١٠٤.

(٤٦) ينظر:علي بن البطريق ،حياته وشعره: ٤٨ ،٤٩؛أدباء حلّيون:١٦٦-١٦٩.

(٤٧) ينظر :المصدر نفسه ١٦٦-١٦٩.

(٤٨) علي بن البطريق الحلي ت٦٤٢هـ حياته وشعره جمع وتحقيق ودراسة د. عباس هاني الجراخ :٤٨.

(٤٩) المصدر نفسه:٤٩.

(٥٠) قلائد الجمان:٤/٣٥٦.

(٥١) غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب،ولد في القاهرة سنة ٥٦٨هـ،وأعطاه والده مملكة حلب سنة٥٨٢هـ،وكان حازما مهيبا ،محبا للعلماء؛الأعلام :٥/١١٣.

(٥٢) علي بن البطريق حياته وشعره :٥٢.

(٥٣) هو أبو علي عز الدين الحسن بن محمد بن إسماعيل بن أبي العز القيلوي ، ينظر : الوافي بالوفيات ، ١٢/ ٢١٨، شذرات الذهب: ٥/١٥٩.

(٥٤) ،نصوص محققة، د.عباس الجراخ ، مجلة أوراق فراتية،العدد الأول،السنة الثانية،١٤٣٢ه:٧٧.

(٥٥) مبارز الدين سنقر الحلبي،هو أمير من أمراء الدولة الأيوبية، له مواقف مشهورة مع صلاح الدين وغيره،(ت٦٢٠هـ) ،ينظر ذيل الروضتين:١٣٤.

(٥٦) ديوان راجح :٤٠٠.

(٥٧) المصدر نفسه :٣١٩.

(٥٨) شمس الدين ،عبد الباقي بن محمد بن أبي يعلى الموصلي وزير الملك الظاهر: مرآة الزمان١/٥٨٠.

(٥٩) ديوان راجح :٢٠ .

(٦٠) المصدر نفسه:٤٠٩.

(٦١) لا توجد له ترجمة فيما توافر لدينا من مصادر ويبدو انه احد أمراء الأيوبيين من ذوي الجاه و السطوة.

(٦٢) ديوان راجح :١٩٢.

(٦٣) محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين الملقب بنظام الدين ،وزير الملك الظاهر وهو صاحب حلب :مرآة الزمان٩٢/١.

(٦٤) ديوان راجح٤٢٠؛وفدّ وتوفّد أي تسابق،أبلج من بلج وجهه أي تبسم ضاحكا.

(٦٥) من شعراء الحلة في القرن السابع الهجري ، من قرية(بغيديد) وهي من قرى الحلة المشهورة ،ينظر شعراء الحلة:١٨٥/٢-١٨٧.

(٦٦) المصدر نفسه : ١٨٥/٢، نقلا عن ابن سعيد صاحب الغصون اليانعة :١١١.

والبرذون:دابة الحمل الثقيل .

(٦٧) ديوان راجح:٢٩٦،أغر :الكريم الأفعال، الأبيض من كل شيء؛ينجاب من جوب :أي يقطع ؛ الجلباب :القميص أوالثوب الواسع تنضى من النّضو :أي الخروج والقصد؛الصدى :العطش الشديد.

(٦٨) ينظر،أدباء حلّيون :١١٤.

(٦٩) ديوان امرئ القيس ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم:١٩.

(٧٠) الانتصار ، الشريف المرتضى :٢٨-٢٩.

(٧١) من مشاهير العلماء ،ومن شعراء الحلة في القرن السابع الهجري ،سبقت ترجمته في التمهيد

(٧٢) مجد الدين احمد بن زيد بن عبيد الله الحسيني الموصلي نقيب الأشراف الحسينيين في الموصل؛ ينظر،نزهة الأنام في تاريخ الإسلام:١٥٩.

(٧٣) مقدمة ديوان مهذب الدين الخيمي:٣٨.

(٧٤) ديوان مهذب الدين الخيمي:١١٢الهامعة:الدموع السيّالة .

(٧٥)المصدر نفسه:١١٦.

(٧٦) ديوان مهذب الدين بن الخيمي: ٩٧.

(٧٧) العمدة في محاسن الشعر ونقده : ١٤٧/٢.

(٧٨) الرثاء عند شعراء الحلة:أسعد محمد علي النجار؛رائدة مهدي جابر،مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية،مجلد(٢) العدد٢ ،كانون الأول ٢٠١٢ : ٦٤.

(٧٩) ينظر:اتجاهات الرثاء وتطوره في العصر العباسي الأول ، د.عبد الهادي عبد النبي علي أبو علي:١٣٧.

(٨٠) ديوان راجح:٣٣٩.

(٨١)المصدر نفسه:٣٣٥. قصّد:تقصيدا، بمعنى الشاعر هذب القصائد وجودها، وهنا نجد أن الشاعر ينظم الشعر وهو يذود برمحه.

(٨٢) نور الدين أرسلان بن مسعود بن زنكي بن آق سنقر ،صاحب الموصل المعروف بأتابك الملقب الملك العادل نور الدين (ت٦٠٧هـ) ينظر في ترجمته:مفرج الكروب ٢٠٢/٣.

(٨٣) ديوان راجح :٥٨٧.

(٨٤) المصدر نفسه:٥٨٧.

(٨٥) ينظر المرأة في الشعر الجاهلي،د. احمد محمد الحوفي :٦٢٥.

(٨٦) ديوان الخنساء:٣٣٩.

(٨٧) ديوان راجح:١٦٤.

(٨٨) ينظر :أدباء حلّيون:١٦٤.

(٨٩) ديوان راجح:١٦٥.

(٩٠)المصدر نفسه:١٦٦.

(٩١) ينظر أدباء حلّيون :١١٧.

(٩٢) ديوان راجح:١٦٧.

(٩٣) المصدر نفسه :١٦٤.

(٩٤) أدباء حلّيون :١٠٥.

(٩٥) ديوان راجح:١٦٧

(٩٦)المصدر نفسه:١٦٦ .

(٩٧) هو أيوب بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي،نجم الدين بن الملك العادل،(ت٦٠٩هـ) ملك خلاط وهي قصبة في أرمينيا الوسطى(معجم البلدان٣٨٠/٢) ترجمته في مفرج الكروب٢٠٨/٣.

(٩٨) ديوان راجح:٤٣٧.

(٩٩) أعيان الشيعة: م٩ /٩٥.

(١٠٠) المصدر نفسه: ٩٥/٩.

(١٠١) الهجاء والهجاءون في الجاهلية ، د محمد محمد حسين:١٢.

(١٠٢) نقد الشعر، لقدامة بن جعفر :٢٩.

(١٠٣) دراسات في الهجاء السياسي عند شعراء الشيعة ، دعبد الغني ايرواني زاده:٥٣.

(١٠٤) ينظر،الهجاء والهجاءون في الجاهلية، د محمد حسين:٢٣.

(١٠٥) ينظر : مقدمة ديوان راجح : ١٣.

(١٠٦) ينظر:أدباء حلّيون:١٠٦ ؛ فوات الوفيات ٢٨٣/٢.

(١٠٧)هو الشاعر المشهور سعد بن محمد بن سعد(ت٥٧٤ه)الذي كان لا يلبس إلا زيّ أمراء البادية ويتقلد السيف دائما ولا ينطق إلا بالعربية الفصحى فلقب(بأبي الفوارس)؛ ينظر وفيات الأعيان لابن خلكان٢٠٢/١.

(١٠٨) ينظر:علي بن البطريق حياته وشعره :٥ ؛ مسالك الأبصار ١٦٠/١٦-١٦١، فوات الوفيات ١١٣/٣.

(١٠٩) أدباء حلّيون :١٥٦؛وينظر فوات الوفيات ١٨٧/٢.

(١١٠) ينظر: المصدر نفسه: ١٥٦.

(١١١) ينظر:أدباء حلّيون :١٣٥. نقلا عن استدراكات الدكتور مصطفى جواد:٢٧.

(١١٢) هو الوزير فلك الدين عبد الرحمن بن هبة الله بن علي، في ميسرة من أعمال مصر .ينظر في ترجمته زبدة حلب٢٢٩/٣، مفرج الكروب١٢٩/٥.

(١١٣) علي بن البطريق حياته وشعره :٤١.

(١١٤) القبق :لفظة تركية معناها(القرع)،وقد أطلق في العربية على الهدف الذي كان مستعملاً في الرماية، ينظر: الفروسية والمناصب الحربية:١٣٨.

(١١٥) ينظر،موسوعة المصطلح النقدي ، لبولارد آرثر ، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة : ٢٩١.

(١١٦) السخريّة في الشعر في العصر المملوكي الأول: نيفين محمد شاكر، رسالة جامعية في كلية الدراسات العليا ،جامعة الخليل:٦.

(١١٧) الأمير فخر الدين يوسف بن صدر الدين شيخ الشيوخ محمد بن عمر بن حموية الجويني، كان أميراً عالي الهمّة،قاتل الفرنج وأستشهد في موقعة المنصورة سنة(٦٤٧هـ)، ترجمته في: مرآة الزمان٨/٧٧٦؛فوات الوفيات٤/٣٦٦.

(١١٨) علي بن البطريق حياته وشعره :٤٦.

(١١٩) الشّربوش: شيء يشبه التّاج، كأنه شكل مثلث يُجعل على الرأس بغير عمامة. المعجم المفصّل بأسماء الملابس عند العرب ١٨٤-١٨٥.

(١٢٠) أدباء حليون:١٤٠.

(١٢١) ديوان مهذب الدين ابن الخيمي:١٢٨، وينظر :الوافي بالوفيات٤/١٨٣ ؛فوات الوفيات ١٤٤/٣.

(١٢٢) أدباء حليون:١٤٠-١٤١.

(١٢٣) هو أسعد (أبو المكارم) ناظر الدواوين بالديار المصرية: خريدة القصر(شعراء مصر):١/١٠٠.

(١٢٤) ديوان مهذب الدين بن الخيمي:٨٦.

(١٢٥) صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر. كان مؤثراً لأهل العلم والصّالحين ، كثير البرِّ لهم والتفقد، وذا ذكاء مفرط ، وزر للملك العادل الأيّوبيِّ، فعمد إلى سياسة العنف والمصادرة ، فعزله العادل؛ تنظر ترجمته في الوافي بالوفيات ٣٢٧/١٧ ؛النجوم الزاهرة:٦/٢٦٣.

(١٢٦) ديوان مهذب الدين بن الخيمي:٨٣.

(١٢٧) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا،،تقي الدين المقريزي٣/٣٤٧.

(١٢٨) ديوان ابن الخيمي:١٠١.

(١٢٩) ينظر: شعراء الحلة :١/ ١٢.

(١٣٠) ينظر: أدباء حلّيون :١٤١.

(١٣١) ينظر: المصدر نفسه:١٤٢.

(١٣٢) ديوان مهذب الدين الخيمي:١٢٦ ؛ بغية الوعاة ١٨٤/١

(١٣٣) ينظر: الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة إلى سقوط بغداد؛ وينظر: أيضا معجم الأدباء :١٢٩/٥،وفيات الاعيان٣/٢٦؛ذيل الروضتين: ١٩٦. بدائع الزهور في

وقائع الدهور:١/٨٠-٨١ ؛حسن المحاضرة:١/٥٦٦.شذرات الذهب:٥/١٢٣ ؛أعيان الشيعة:٣/٧٥؛الأعلام ٣/٣١.

(١٣٤) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ٦/٢٤٢-٢٤٣ .

(١٣٥) ديوان راجح : ٨٠١ ، هذه القصيدة من القصائد الملحقة بديوان الشاعر. والشلو: العضو من أعضاء الجسم العقيرة:الصوت.

(١٣٦) تاريخ الادب العربي /عصر الدول والإمارات، شوقي ضيف:٣٤٠.

(١٣٧) هكذا ورد وهو نجل الحسن بن علي بن قتادة ،ولم نعثر له على ترجمة.

(١٣٨) شعراء الحلة :٣٧٥.

(١٣٩) ينظر : المصدر نفسه ، أدباء حلّيون :١٦٥.

(١٤٠) ترجمته في الحوادث الجامعة : ٦١ ، وفيه يذكره(قركان)، بالقاف .

(١٤١) ينظر: تاريخ الحلة :١/ ٧٦.

(١٤٢) ينظر المصدر نفسه:٧٦، وينظر: الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد:١١٤-١١٥.

(١٤٣) يقول د. بشار عواد عند تحقيقه لكتاب (الحوادث) أن "في هذه القصيدة شعوبية واضحة" تدل على جهل قائلها بفضل العرب على غيرهم" ثم يطيل في ذلك، ويجيب د. عباس الجراخ على أدعائه هذا :بقوله:"لا أدري ما علاقة الشعوبية برجل استصرخ الخليفة العباسي ودعاه للاقتصاص من أولئك المجرمين الذين لم يرعوا حرمة الحج المفروض على المسلمين ؛ ومنهم العرب ، فقتلوا الحاج ومنعوهم من تأدية تلك الفريضة.علي بن البطريق ،حياته وشعره:١٩.

قائمة المصادر و المراجع

١. اتجاهات الرثاء وتطوره في العصر العباسي الأول ، د.عبد الهادي عبد النبي علي أبو علي ، مطابع جامعة الأزهر الدينية،القاهرة، ط١-١٩٩٠.

٢. اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق محمد حلمي محمد المؤلف تقي الدين احمد بن علي المقريزي،. : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،لجنة إحياء التراث الإسلامي،- القاهرة ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٣. الآداب العربية في العصر العباسي : محمد عبد المنعم خفاجي ،دار الجيل، بيروت ، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٤. أدباء حليون :جواد أحمد علوش. -: منشورات عويدات، بيروت ، ط١، ١٩٧٨.
٥. الأدب الجاهلي قضاياه أغراضه أعلامه فنونه : دكتور غازي طليمات - الأستاذ عرفان الأشقر، دار الإرشاد ، سوريا ، ط١، ١٤١٢-هـ-١٩٩٢م
٦. أدب الحلة : جواد احمد علوش. إخراج وتحقيق صباح نوري المرزوك، مركز دراسات بابل، بابل ، ٢٠١٢.
٧. أدب السياسة في العصر الاموي: أحمد محمد الحوفي. -: دار نهضة مصر للطبع والنشر، مصر -القاهرة ، ط ٣.
٨. الأعلام(قاموس تراجم) :خير الدين الزركلي. : دار العلم للملايين ،- بيروت- لبنان ، ط١٥ ٢٠٠٢م.
٩. أعيان الشيعة حققه وأخرجه حسن الأمين:محسن الأمين. -: دار التعارف للمطبوعات، لبنان ، ٢٠١٤.
١٠. الانتصار، الشريف المرتضى(ت٣٥٥-٤٣٦) ، قدم له السيد محمد رضا الخرسان: مؤسسة النشر الإسلامي، قم ، إيران ، ١٤١٥هـ.ق.
١١. بدائع الزهور فى وقائع الدهور: المؤرخ المصري محمد بن احمد بن، إياس الحنفي القاهري ،تحقيق محمد مصطفى، ،دار الباز، مكة المكرمة.
١٢. تاريخ الحلة: يوسف كركوش ، ، المكتبة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٩٦٥م.
١٣. تاريخ الخلفاء :جلال الدين عبد الرحمن السيوطي،٩١١ه ،دولة قطر، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط٢، ١٤٣٤ه-٢٠١٣م.
١٤. تاريخ الملوك والأمم:أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢، ١٩٦٨م.
١٥. تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين المعروف ب(ذيل الروضتين) علق عليه إبراهيم شمس الدين : شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة (ت٦٦٥هـ) دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون،ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
١٦. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة المؤلف: : عبد الرحمن بن أبي بكر،جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦٧م.

١٧. الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة : كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن محمد الصابوني المعروف بابن الفوطي (ت: ٧٢٣هـ) ، تحقيق : مهدي النجم ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت _ لبنان ، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٢م.
١٨. خريدة القصر وجريدة العصر/ قسم شعراء مصر، العماد الاصبهاني محمد بن صفي الدين(ت٥٩٧هـ) ، نشر وتحقيق : أحمد أمين ، شوقي ضيف ، إحسان عباس ، دار الكتب والوثائق القومية ، مصر _ القاهرة ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٩. دراسات في الهجاء السياسي عند شعراء الشيعة : جمال طالبي،عبد الغني ايرواني ، مجمع ذخائر إيراني ، قم - ايران ، ط٢، ١٩٧٨.
٢٠. ديوان امريء القيس : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. : دار المعارف، القاهرة ، ط ٥.
٢١. ديوان الخنساء، تحقيق د.ابراهيم عوضين. - مطبعة السعادة، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥.
٢٢. ديوان راجح الحلّي،أبي الوفاء راجح بن إسماعيل بن أبي القاسم الأسدي،: دراسة وتحقيق أميرة محمود عبد الله. - رسالة ماجستير، جامعة الموصل، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٢٣. ديوا ن مهذب الدين ابن الخيمي : جمع وتحقيق ودراسة، عباس هاني الجراخ. -: مركز العلامة الحلي، بابل-الحلة ، ٢٠١٧هـ -١٤٣٨م.
٢٤. الرثاء عند شعراء الحلة : رائدة مهدي جابر وأسعد محمد علي النجار ، مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية ، مجلد،٢ ، العدد٢ ،كانون الأول ٢٠١٢م.
٢٥. السخريّة في الشعر في العصر المملوكي الأول:نيفين محمد شاكر،. - رسالة ماجستير في كلية الدراسات العليا ،جامعة الخليل .
٢٦. شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ت: الأرناؤوط) : عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ) ، تحقيق : محمد الارناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق – بيروت ، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
٢٧. شرح المعلقات السبع : أبي عبد الله الحسين بن احمد الزوزني. -: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٦، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢٨. شعراء الحلة : علي الخاقاني. - النجف : الطبعة الحيدرية، ١٩٥١م.
٢٩. الشعر العراقي في القرن السادس الهجري:مزهر عبد السوداني ، وزارة الثقافة والإعلام،دار الرشيد، بغداد ١٩٨٠م.
٣٠. الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد : عبد الكريم العبود. ،منشورات وزارة الإعلام، دار الحرية للطباعة،العراق١٩٧٦ م
٣١. الشعر العربي في العراق وبلاد العجم : جواد علي الطاهر، ،دار الرائد العربي، بيروت - لبنان ، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٣٢. عصر الدول والإمارات: شوقي ضيف. - دار المعارف -القاهرة ، ط،٢ ١٩٨٠م.
٣٣. علي بن البطريق ،حياته وشعره: جمع وتحقيق ودراسة د.عباس هاني الجراخ. - : مركز بابل للدراسات التاريخية، بابل ،ط١، ٢٠٠٩م.
٣٤. عمدة الطالب الصغرى في نسب ال ابي طالب ، ابن عنبة جمال الدين احمد بن علي الحسني الداوودي تحقيق: السيد مهدي الرجائي. - : مكتبة جل المعرفة، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٤-٢٠٠٣م.
٣٥. العمدة في صناعة الشعر وآدبه ونقده، ابي علي الحسن ابن رشيق القيرواني(ت٤٥٦هـ). حققه د.النبوي عبد الواحد شعلان ، - القاهرة : مكتبة الخانجي،ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٣٦. الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ، ابن سعيد الاندلسي (ت ٦٨٥ه) ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، دار المعارف ، مصر.
٣٧. الفروسية والمناصب الحربية :نجم الدين حسن الأحدب(ت٦٩٥هـ)،تحقيق عبد ضيف العبادي ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٤م.
٣٨. فوات الوفيات، تحقيق داحسان عباس : محمد بن شاكر الكتبي (ت٦٧٤هـ) دار صادر، بيروت-لبنان ، ١٩٧٣.
٣٩. قلائد الجمان ، ابن الشعار الموصلى (٦٥٤ هـ) ، تحقيق : كامل سلمان الجبورى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥ م

٤٠. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان :يوسف بن قزاوغلي المعروف بسبط ابن الجوزي (ت٦٥٤ه) -: دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد،الهند ،١٣٧١هـ.
٤١. المرأة في الشعر الجاهلي:د. احمد محمد الحوفي ، دار نهضة مصر .
٤٢. مسالك الأبصار:شهاب الدين بن فضل الله العمري، تحقيق: كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم، ،دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان ،ط١، ٢٠١٠م
٤٣. معجم البلدان : شهاب البدين ياقوت بن عبد الله الحموي. -: دار صادر، بيروت-لبنان ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
٤٤. المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، رينهارت دوزي ، ترجمة : د. أكرم فاضل ، مطبعة الحكومة ، بغداد، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
٤٥. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب:محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم ابن واصل، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي، جمال(٦٩٧هـ) تحقيق جمال الدين الشيال الدين. -: دار الكتب والوثائق القومية - المطبعة الأميرية، بولاق -مصر .
٤٦. موسوعة المصطلح النقدي :بولارد آرثر ترجمة عبد الواحد لؤلؤة. ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط٢ ،١٩٨٣م.
٤٧. النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت٨٧٤هـ) ، دار الكتاب ، منشورات المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ،مصر – القاهرة ، ط١.
٤٨. نزهة الأنام في محاسن الشام :أبي البقاء عبد الله البدري ، دار الرائد العربي ، بيروت-لبنان ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
٤٩. نصوص محققة، د.عباس هاني الجراخ ، مجلة أوراق فراتية،العددالأول،السنة الثانية.
٥٠. نقد الشعر ، قدامة بن جعفر(ت ٣٧٧هـ) ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ،
٥١. الهجاء والهجاءون في الجاهلية: محمد محمد حسين:. -: مكتبة الآداب بالجماميز، مصر-الإسكندرية ، ١٩٤٧.

٥٢. الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت٧٦٤هـ) تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت ، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٥٣. وفيات الأعيان :أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان(ت٦٨١هـ) ،تحقيق داوود القاضي ،عز الدين احمد موسى،د.إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.